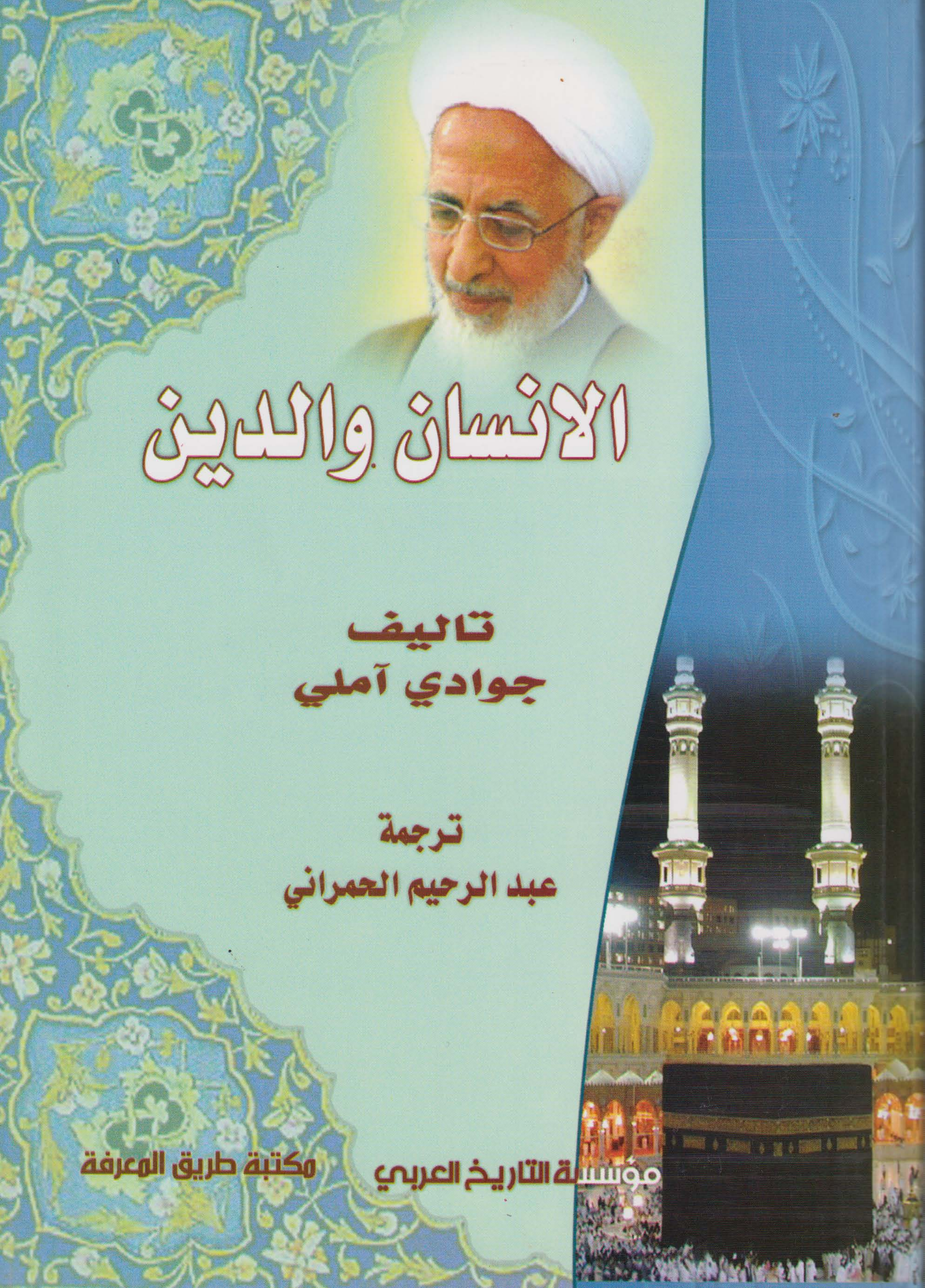


الانسان والدين
تاليف
جوادي آملي
ترجمة
عبد الرحيم الحمراني
مؤسسة التاريخ العربي
مكتبة طريق المعرفة



مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

الإنسان والدين

الإنسان والدين

تأليف

جوادي آملي

ترجمة

عبد الرحيم الحمراني

مؤسسة التاريخ العربي　　　　مكتبة طريق المعرفة

طبعة أولى منقحه
١٤٣٠هـ ـــ ٢٠٠٩م

مؤسسة التاريخ العربي
مكتبة طريق المعرفة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلمة الناشر

ان بزوغ شمس الدين اضاء جميع جوانب الحياة ومهد السبيل امام الانسان لينفتح على كافة المواهب والنعم الطبيعية ليتمكن الانسان في ظل هداه وتوظيفه لطاقاته المتاحة من بلوغ ارفع المواضع المتمثلة بمقام خلافة الله في الارض والعبودية والعندية في السماء.وكانت ومازالت هذه الهبه الربانية تواجه مخاطر تهديدات الطواغيت والجبابرة إلى جانب تحديد وتحريف وتزييف ذوي النفوذ والسلطة. والواقع ان الانسان المتدين يتحول إلى عاصفة كاسحة تمنحه اياه قدرة الدين وعزته وتجعل اعتى القوى تضعف امامه ولا تقوى على مجابهته، وتعيش حياله الخوف والخشية فتسعى جاهدة من اجل القضاء عليه ومن هنا جدت وبذلت قصارى جهدها بغية عزل الدين عن ميدان الحياة البشرية وتجريد ذلك الانسان من سلاحه وتعبئته ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾[1] وهذا القتال المرير والشامل يتمظهر احيانا بصيغة غزو عسكري واحيانا أخرى يشن في اطار ثقافي ـ علمي وحتى عقائدي. ومن الطبيعي ان تكون المواجهة في هذا الميدان اكثر خطورة وصعوبة من سابقتها المتمثلة بالقتال المسلح ان الانسان كائن متعطش لا يشفي غليله سوى الدين الاصيل، اما اقبال الانسان على فضلات العلم والهروب من الدين فلم ولن تزيده الا عطشا وتعبا. والانسان المعاصر الذي اقتحم جميع ميادين الحياة ووصل نهاية العالم حسب تعبير بعض علماء الغرب يسمع اليوم بملئ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

اذنيه هتاف الحاجة إلى الدين والانفتاح على الوحي والذي ينطلق من اعماق قلبه ليصرخ مدويا ان لا سبيل للنجاح والفلاح سوى الاستجابة لرسالة السماء والانتهال من منهل الانبياء. واذا ما منح الانسان بدنه وروحه للدين ستقام له جنة في هذه الدنيا تعطر بفواح روائحها مشام قلبه ونفسه وتكحل بطلعتها نواظر بصيرته وتفيض عليه الدفئ والسرور والحيوية. واولئك الذين اعتمدوا التحليل الخاطئ الذي يستند إلى عدم معرفة الانسان والافتقار إلى المعرفة الصحيحة بالنسبة للدين والجهل برسالته فذهبوا إلى ان تبعية الانسان للدين مدعاة للقلق والاضطراب والانغماس في اتون جهنم دنيوية انما اقتنعوا بما نسجوه من جنة مزيفة وكاذبة وخلصوا إلى ان الانسان لا ينشد من وراء الدين سوى العزلة وحياة التقوقع الاجتماعي لا غير. والحق ان الدين الذي لايفارق الانسان منذ انطلاقة الخليقة حتى اكتسابه حلة الوجود وسيره في هذا العالم وسائر العوالم ورافقه في كافة انشطته وفعاليته الفردية والاجتماعية والذي لا يسعه التخلي عنه في أي مجال من مجالات حياته بحيث يعدو دونه غريبا تائها لحري بان يذب عنه ويصونه بكل كيانه ووجوده. والاسلام مفتاح لحل الازمات السياسية والثقافية والاجتماعية لعصرنا الراهن شريطة التركيز على الرسالة السماوية ومصادرها الحية الاصيلة والتخلي عن التفاسير المشبوهة النابعة من الاهواء والاراء المنحرفة لهذا العصر. ان البشرية وان انطوت على حاجات ومتطلبات وامال عريضة وملحة من الدين غير ان معظم حاجاتها ومتطلباتها الفطرية او غير الفطرية التي تتخذ صيغة معينة انما تنضج وتعرف في ظل التعاليم الدينية. يظن الانسان المتوهم انه يستطيع التفوق على جميع حيثياته الوجودية من خلال استقلاله وتعويله على عقله، والسيطرة على كافة هواجسه بالاستناد إلى الاراء العامة او حكومة الاغلبية او برمجة شؤونه على اساس مذهب الاومانية ومحورته الانسان متناسيا ان كافة القوى والطاقات البشرية بما فيها العقل والاراء والافكار و... انما تجد فاعليتها وتفعل جهودها في ظل قيادة وتوجيه الوحي، والا فان مختلف هذه الطاقات المتجحفلة دون امر لا تفقد وحدتها الاجتماعية وتنسحب

من ميدان مواجهة العدو فحسب بل ربما تنشط في قمع كل منها الاخرى والقضاء عليها. ان البشرية بتجربتها لمختلف المدارس والمذاهب العلمية والعملية والتي تكللت باليأس المطلق عادت ثانية لنقطة الصفر وجددت متطلباتها وعقدت امالها على الدين؛ الا انه لا ينبغي هذه المرة تكرار التجربة السابقة بمنطق اخر في تحميل الدين بعض المتطلبات النفسية والرغبات الخيالية تحت ذريعة التوقع من الدين بل لابد ان يمارس الدين دوره هذه المرة ويستعرض له جوانبه الوجودية ويعلمه إلى جانب ذلك عناصره وركائزه النفسية ويكتب له وصفة الشفاء والنجاة من الجهل والضلالة لان اعقد موجود في نظام الخليقة هو الانسان وخالق الانسان فقط من يسعه تعريفه متطلباته الصادقة من الكاذبة وامإله وتطلعاته الواقعية من غير الواقعية.
والكتاب الذي بين ايدينا يشير إلى هذا السؤال الذي يشغل اليوم اذهان الاوساط الثقافية والمحافل العامة والذي يتمثل بما يتوقعه الانسان من الدين ويتكفل بطرح الردود المناسبة عليه. وهذا الكتاب القيم خلاصة الاراء والاجوبة الاستدلالية والمبرهنة للحكيم الرباني سماحة اية الله جوادي الاملي دام ظله بهذا الخصوص.
جدير ذكره ان الهدف الاصلي لهذا الكتاب هو الرد على السؤال المذكور إلى جانب خوضه في الركائز الاساسية والبنيوية ذات الصلة بهذا النمط من التفكير.
والكتاب يتالف من ثلاثة اقسام تناول القسم الاول كليات المسئلة ومبادئها التصورية وتكفل القسم الثاني بطرق تبيين توقع الانسان من الدين بينما استعرض القسم الثالث نماذج من تلبية الدين لهذه المتطلبات البشرية المرجوه منه.

المقدمة

ان بعض الوقائع والحوادث من قبيل حركة الاصلاح الديني والحداثة والنزعة العقلانية والنهضة الصناعية التي انطلقت في الغرب اوئل القرن الرابع عشر ادت إلى ظهور ازمات في مختلف مجالات الحياة على الصعيد المعرفي والنفسي والاخلاقي والاجتماعي والسياسي بالرغم من نتائجها الايجابية على مستوى الرفاه المعاشي والاجتماعي وخلق التطور الفكري والثقافي للانسان وتكامل حياته الاجتماعية. فالانسان يعيش اليوم حالة من الحيرة والتخبط العلمي والنسبية وعدم الاستقرار في الاراء والعقائد في الجانب المعرفي والتردد العلمي والازدواج والاضطراب وفقدان الهدوء واطمئنان البال وغياب الهوية على الصعيد النفسي والتصدع وانهيار الكيان العائلي والاسري وعلى الصعيد الاجتماعي والسياسي عانى من الفوضى الدولية ومعضلة وقت الفراغ وما شابه ذلك بحيث ادت هذه العلل العلمية والعوامل النفسية و... إلى ظهور التوترات الاقليمية والدولية وتبلورت حينا اخر بصيغة حرب عالمية اولى وثانية وقد اوجز البعض جذور هذه المشاكل إلى الامور التالية:

١ ـ غياب الرؤى الدينية والاخلاقية والفلسفية بشان الوجود والانسان ومفهوم الحياة وظروف معيشة الانسان والسعادة واستثمار الانسان لامكاناته بغية الوصول إلى شاطئ الامان.

٢ ـ فقدان الاجابات المبرهنه على اسرار الوجود وبدايته ونهايته.

٣ ـ غياب القيم والمثل الدينية والاخلاقية التي من شانها توجيه الانشطة والفعاليات. ووقوف رواد الفكر الجديد بوجه بعض العوامل كالفلسفة الارسطية والدين ومحوريته كونها حسب وجهة نظرهم تغلق الطريق على التجدد ورقي

الانسان وتحول دون تحقق الاهداف العصرية.وقد طرح «**ديكارت**» و(اسبينوزا» نظريته القائمة على اساس استقلال العقل الاستدلالي البشري عن الوحي بصفته المعيار النهائي للحقيقة وانبرى «**هيوم**» زعيم الفلسفة التجريبية ليفند مبدأ العلية ويرفض براهين معرفة الله كما خلص الفيلسوف «**كانت**» إلى محدودية العقل البشري فلا يسعه الوصول إلى معرفة وجود الله ولا يمكنه اقامة الدليل على وجوده وذهب إلى تعذر معرفة الله سوى بالاستعانة بالعقل العملي. وقد ترك بصماته على من تبعه من الفلاسفة بحيث ظهرت الفلسفة الوجودية، ثم توالت الفلسفات المناهضة للدين وما وراء الطبيعة بحيث تجاهلت كافة المسائل والموضوعات ذات الماهيات الماوراء الطبيعة ولم تمنحها اية اهمية. ويستند العلم الحديث إلى رؤية فلسفية خاصة في ان عوامل العالم المادي أي الفضاء والزمان والمادة والحركة والطاقة من الحقائق العليا للوجود التي تعمل بصورة مستقلة عن قدرة الله والذهن البشري الذي يطالع هذا العالم هو الشعور البشري الفردي وهو ليس بشيء سوى قدرة الاستدلال والتي لاصلة لها بالعقل والوحي. والنزعة العلمية الحديثة اتخذت من العلم وسيلة للتعامل مع كل شيء وليست هنالك من معرفة حاصلة سوى من خلال العلم، وليس من سبيل لاي منهج اخر كالمعرفة الحاصلة عن طريق الوحي لهذه المعرفة، حتى غيبت الحقائق المعنوية التي تحيط بالانسان على الدوام في جميع جوانيه وشؤونه. كما ان الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للعالم المتجدد والدنيا العصرية فتح الباب على مصراعيه لسيادة الرؤى والافكار البشرية اثر اعتقادها بفصل الدنيا عن الاخرة وتنحية الدين عن الميادين الاجتماعية، ذلك لانها اعتبرت الانسان وجودا مستقلا عما وراء الطبيعة وما عليه الا ان يعرف بذاته ويقرر بذاته ويسخر كل شيء من اجله. بعبارة أخرى الانسان من يستطيع في ظل المدرسة الاومانية «**محورية الانسان**» معرفة جميع الحقائق وكافة الحاجيات والمتطلبات وهو ليس بحاجة لحقيقة غير ذاته لتعرفه بسائر الحقائق او تلبي حاجياته. وعلى هذا الاساس فهو ليس بحاجة لله

ليغنية بالحقائق، كما لا يحتاج إلى الدين لينظم له كيفية العيش في الدنيا ولكن كما مر سابقا فان الشعور بالغنى عن الله والدين خلق له الازمات والمتاعب التي اضطرته للتفكير في كيفية معالجتها والتغلب عليها. فذهب البعض إلى ان التغلب على هذه الازمات يكمن في العودة إلى الدين وقال: لابد ان نفتش عن الادلة والمسوغات التي اضطرت الانسان في الماضي والحاضر لئن يتصف بالاخلاق والتدين ويزعم ان العلم ايضا دل اليوم على ان البشرية بحاجة إلى علم يجربي بغية سعادتها وديمومة بقائها. وحيث توصلت البشرية إلى هذه القضية المتمثلة باستحالة السعادة دون الدين والاخلاق وحيث يرى الدين ظاهرة كسائر الظواهر فانه يواجه مطبات كثيرة بهذا الخصوص اهمها علل الحاجة إلى الدين وبيان دائرته وشموليته. ومن هنا تطرح هذا السؤال: ماالتوقع الذي نبحث عن تلبيته في الدين؟ هل يلبي الدين كافة المتطلبات البشرية؟ وهل بامكان الدين ان يلبي الحاجة المعرفية والحاجة الخلقية والحاجة الاجتماعية والسياسية والحاجة المعنوية؟ ان كان بامكان الدين تلبية كل هذه المتطلبات فكيف يتم ذلك؟ يتكفل هذا الكتاب بالرد على هذا السؤال: ما هو «**توقع البشر عن الدين**» وكيف يسع الدين تلبية كافة متطلبات الانسان في مختلف جوانب حياته. لابد من الالتفات إلى انه لايمكن النظر لكل ما يطرح باسم الدين بذات النظرة ذلك لان هنالك العديد من الاديان في العالم لبعضها صبغة خرافية تؤمن بقدسية الحيوان والنبات ولبعضها الاخر طابع بشري كالديانة البوذية كما ان هناك بعض الاديان السماوية لكنها لم تسلم من التحريف كاليهودية والنصرانية ومن هنا نقول: المراد من الدين في هذا الكتاب لا الدين الخرافي ولا الاديان البشرية ولا الاديان السماوية المحرفة بل مرادنا الدين الاسلامي النابع من الوحي السماوي الذي بعث به محمد بن عبد الله النبي الاكرم ﷺ الذين الذي جانب الخرافة وابتعد عن التحريف الدين الذي يسعه الانسجام مع الظواهر الجديدة والحياة العصرية بفضل تمتعه ببعض الخصائص والمميزات ومنها:

١ ـ شمولية الدين والشريعة وكماله بمعنى ان الاسلام ناظر لكافة جوانب الانسان المادية والمعنوية فهو ينظم حياة الانسان الدنيوية ويرفض كافة اشكال الاعراض عنها ذلك لان الهدف الاصلي للدين ضمان السعادة الدنيوية والاخروية ويلعب دورا اساسيا في تنظيم شؤون الناس الدنيوية كما لايخفى دوره في ضمان حياتهم المعنوية وسعادتهم في الاخرة.

٢ ـ ان العقل البرهاني مصدر من مصادر الدين ولهذا العقل القاطع والاستدلالي قدرة تشخيص احكام الدين والشريعة لوجود علاقة وطيدة بين العقل والشرع.

٣ ـ تبعية احكام الشرع للمصالح والمفاسد الواقعية وعدم عبثية هذه الاحكام.

٤ ـ طرح الاجتهاد كاسلوب ومنهج للتوصل إلى الحكم الشرعي وضرورة حياة المجتهد بغية طرح المشاريع المتكيفة مع الظروف المتغيرة بالاستفادة من مصادر التشريع.

نعم السبيل الوحيد للنجاة من طوفان المذهب التجريبي ركوب سفينة نوح الوحي كما ان السبيل الوحيد للتخلص من سموم المذهب الحسي الانفتاح على مضادات العقل الروحي انذاك سيكون من اليسير الوصول إلى الجزم العملي وبلوغ الطمانينة والسكون ونيل الفضائل الخلقية وشهود الامن المحلي والاقليمي والدولي. وقد اوضحنا في مستهل هذا الكتاب المبادئ التصورية والتصديقية لهذه المسئله ثم جرى الكلام عن سبل تبيين انتظار البشر من الدين؛ المنهج الاول تبيين انظار البشر من الدين عن طريق دراسة ادلة ضرورة بعثة الانبياء عليهم السلام والمنهج الثاني دراسة معطيات الدين والمنهج الثالث معرفة الانسان والرابع معرفة مصادر الدين ولاسيما العقل والبرهان العقلي والخامس بيان انتظار البشر من الدين من خلال الرجوع إلى مصادر الدين النقلية. كما تعرضنا في الختام إلى نماذج من تلبية الاسلام لانتظارات وتوقعات البشرية.

❖ انتظار البشر من الدين

انتظار البشر من الدين من اهم القضايا التي تواجهها الاطروحة الدينية في العالم المعاصر وتطرح عليه بعض الاسئلة والاستفسارات من قبيل: ما أسباب حاجة الانسان للدين؟ ما النقص الذي يعاني منه الانسان والذي لا يمكن معالجته سوى من قبل الدين؟ هل للدين ادارة جميع شؤون الانسان، ام ان بعض شؤونه فوضعت للعقل والعلم البشري؟ هل كل الامور الدينية ام ان بعضها لا يمت اصلا بصلة إلى الدين؟ هل يقتصر الدين على بيان الاصول المعنوية ام انه يخوض في الاصول العلمية؟ هل يحمل الدين مشروعا لحياة الانسان الدنيوية والاجتماعية وينظم شؤونه المادية ام يقتصر مشروعه على معالجة حياة الانسان المعنوية والاخروية؟ هل يتكفل الدين بقضايا الاخلاق وتهذيب العواطف والمشاعر ام يختزل دوره في بيان الاحكام التكليفية والوضعية؟ هل تنتفي الحاجة إلى الدين ويكتفى بالرجوع إلى العلم والعقل البشري ان ظفر المجتمع برقيه العلمي والعقلي واستطاع بهذا التطور العقلي والازدهار العلمي تلبية اغلب متطلباته واشباع حاجاته؟ سنستعرض في بحث انتظار البشر من الدين هذه الاسئلة وسائرها والاستفسارات الواردة بهذا الشان الا اننا سنشير قبل ذلك إلى الميزة التاريخية لهذا البحث واسباب طرحه في العالم المعاصر وموضعه في علم الكلام ثم نبين مباني مبحث انتظار البشر من الدين.

❖ سابقة البحث

كان العلماء حتى قبيل القرن السابع عشر ومن خلال دراستهم لنظريات المتالهين ولاسيما بشان براهين اثبات وجود الله وسائر المسائل العقائدية قبلوا بعضها ورفضوا او اصلحو البعض الاخر غير انهم لم يتحدثوا صراحة وبشكل رسمي عن مكانة الدين في حياة الانسان حتى ان بعض الفلاسفة مثل ماكياول وهايز وجون لاك كانوا يرفضون الالحاد وعدم النزوع إلى الدين ولكن انبروا فجاة في

القرن الثامن عشر وخلافا للسابق لجاوا إلى التشكيك في الدين ومنشاه وسعوا لئن يجدوا للدين منشا دنيويا وقد طرحوا عدة نظريات بشان الدين على انه سلسلة من العقائد التي تقبل عليها بعض الجماعات بغض النظر عن حقيقتها لمجرد تلبيتها لبعض حاجاتها الاساسية[١]وان لم يتضح منشا هذا التنظير مشكلة تعارض العلم والدين وكيفية حلها ام فكرة الاومانية ومحورية الانسان وزعم استقلال الانسان عن الله والسماء، ام ظهور النظرية الهرمنوطيقية وصلتها بفهم المتون الدينية او ان التطور العلمي والعقلي للانسان بصورة كلية اضطرتهم لتقديم مثل هذه النظريات بشان الدين، لكن من المفروغ منه ان هذا التفكير ظهر في القرن الثامن عشر ازاء المعطيات ذات الصلة بالدين.اما في مشرق الارض وقبل الاسلام فقد نشات من البراهمة في الهند التي تبنت فرضية اسقاط الدين من حياة الانسان وهم اولئك الذين انكروا النبوة وذهبوا استنادا إلى بعض الشبهات إلى ان بعثة الانبياء من المحالات العقلية اما علماء الكلام المسلمون فقد ادرجوا مسالة انتظار البشر من الدين ضمن مباحث النبوة العامة بعد ظهور الاسلام وقبيل انبثاق علم الكلام حيث يثبت في مبحث النبوة العامة بحكم العقل المستقل انه يستحيل على الانسان ان يعيش حياة سعيدة دون الوحي والرسالة. ونرى من الضروري هنا ان نخوض في المبادئ التصورية لمسئلة انتظار البشر من الدين.

❖ المبادئ التصورية لمسالة انتظار البشر من الدين

لابد من التعرف بادئ الامر على المراد من «**الدين**» و«الانتظار» و«البشر» على اساس ان معرفة كل مركب تتوقف على معرفة مكوناته واجزائه.

---

(١) الايديولوجية: ص٩٨.

❖ أولا: الدين واقسامه

المراد من الدين المنهج المؤلف من سلسلة العقائد والخلقيات والقوانين والمقررات التنفيذية وهدفه ارشاد الانسان والاخذ بيده إلى شاطئ السعادة والدين على هذا الاساس قسمان؛ دين بشري ودين الهي.

أ ـ الدين البشري هو سلسلة من العقائد والاخلاق والقوانين والمقررات التي يضعها الانسان من وحي افكاره. وعلى هذا الضوء فان هذا الدين يلبي تطلعاته ضمن هذا الاطار فيكون اسير ذلك الانسان واداة بيده فينظمه بحيث تكون جميع قوانينه ومقرراته لصالحه ودون ان يفرض عليه شيء. بعبارة أخرى ان الانسان الذي يرى نفسه جديرا بتدوين الدين انما يزعم الربوبية والهه ومعبوده هوى نفسه. ومن هنا فهو يشرع الدين الذي يضمن متطلباته التي يفرزها هواه ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[١].

❖ معطيات الدين البشري

ان الدين الذي يتبلور على اساس ارادة الانسان انما ينطوي على بعض المعطيات نشير هنا إلى بعضها:

١ ـ الانفلات وغياب الالتزام والمسؤولية

ان خاض البشر في تدوين الدين فسوق لن يرى نفسه مسؤولا قط ذلك لان القاعدة الكلية بان كل انسان يفكر ويعمل على اساس هيكليته النفسية والبدنية ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾[٢] فان كان الهه هواه كان دينة سلسلة اهوائه وافكاره المتمحورة حول طيشه ورغباته، بل يدعي الربوبية ويرى شخصه مصداقا للاية

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الاسراء، الآية: ٨٤.

الشريفة ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾[١]. ومثل هذا الفرد يعتبر نفسه فوق القانون واستنادا لذلك يرى نفسه طليقا ولا مسؤولية في عنقه تجاه احد. وعلى هذا الاساس يعتقد ان رغباته فقط هي الحق ويعمل على ضوئها، والحال هذا الانسان مصداق لهذه الاية ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٢]. القران الكريم من جانبه يرى جميع الافراد مسؤولين سواء النبي او امة هذا النبي ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٣].

٢ ـ رد الفعل ازاء الدين الالهي

ان الانسان الذي يقدم شخصيا على تدوين وتنظيم الدين يبدي رد فعلا مناهضا للدين الالهي ويهب لمواجهته، ليكذبه بالتالي او يقتل من يحمل رايته، كما يصف ذلك القران الكريم ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾[٤].

ب ـ الدين الالهي

المراد بالدين الالهي مجموعة من العقائد والاخلاق والقوانين والمقررات التنفيذية الذي شرعه الله لهداية البشر، ليهذب الانسان في ظل تعاليمه اهوائه ورغباته ويكفل حريته والانسان المؤمن بالله حيث يرى نفسه خاضعا لربوبيته الله تبارك وتعالى يسعى من خلال العمل بالدين الالهي والاستقامة عليه للظفر بمراده الحقيقي ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾[٥]. ذلك لان الدين الالهي الذي يلتفت

(١) سورة الانبياء، الآية: ٢٣.
(٢) سورة الكهف، الآية: ١٠٤.
(٣) سورة الاعراف، الآية: ٦.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٠.
(٥) سورة الاحقاف، الآية: ١٣.

إلى حقيقة الانسان وحاجاته ومتطلباته ويطرح مشروعه الشامل والمتكامل الذي يلبي تطلعاته على جميع المستويات وفي كافة المجالات.

❖ تنبيه:

المراد من الدين في بحث انتظار البشر من الدين الدين الالهي، وبالذات اكمل واشمل دين، الا وهو الدين الاسلامي دين خاتم الانبياء والمرسلين ﷺ الذي يبلور باكمل وجه الاطروحه العلمية للمجتمع ودوافعه العملية.

❖ ثانيا: الانتظار واقسامه

الانتظار يعني احيانا الاحتياج واخرى التوقع. والانتظار بمعنى الاحتياج قبيل الدين والايمان به اما الانتظار بمعنى التوقع فعقب قبول الدين أي ان الانسان ماذا يسعه ان يتوقع من الدين بعد ايمانه به؟ واي امال وتطلعات يلبيها الدين؟ والمراد بالانتظار بمعنى الاحتياج ان للانسان حاجات والدين بصدد قضاء هذه الحاجات.

❖ الانتظار الصادق والكاذب

الانتظار على قسمين: انتظار صادق وحق وانتظار كاذب وباطل كما ان العطش على نوعين: عطش كاذب وعطش صادق والانتظار الكاذب حسب تعبير القران الاماني التي يلقيها الشيطان في الانسان ويشغله بها ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾[1] اما الانتظار الصادق فهو الانتظار الذي ينسجم مع حقيقة الانسان الوجودية من قبيل انتظار لقاء الله والذي ورد عنه في بعض الادعية ﴿غاية المنى﴾[2] «يا غاية امال العارفين»[3]. كذلك انتظار الوصول إلى الجنة الذي يعد من انتظارات الانسان

(١) سورة النساء، الآية: ١١٩.
(٢) سورة النساء، الآية: ١١٩.
(٣) بحار الانوار: ج٤٦ص٨١.

الصادقة والذي يتاتى من خلال الايمان والعمل الصالح لا انه جزء من الاماني الخاصة للمسلمين او اهل الكتاب ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾[١]. فوجود الانتظار الحق والباطل يتطلب ماهرا عارفا ليميزها عن بعضها البعض فيلبي الانتظارات الصادقة على غرار تشخيص العطش الصادق من العطش الكاذب الذي ينهض به الطبيب المختص والمميز للانتظارات الصادقة من الكاذبة هو الدين السماوي الذين الذي يفصل الاماني الكاذبة عن الصادقة ويعلم الانسان ويلهمه سبيل تحصيل الانتظارات الصادقة. وقد فسر البعض انتظار البشر من الدين في سر رجوع الانسان إلى الدين كما صرح المتكلمون في السابق وقالوا: لم لابد للانسان من الرجوع إلى الدين؟وقال الاعم الاغلب: ان وجوب شكر المنعم ودفع الضرر المحتمل يضطرنا للتعرف على الدين والايمان به والالتزام والعمل بمضمونه.

الانتظارات الرئيسية والفرعية

❖ **انتظارات الانسان الصادقة قسمان: انتظارات رئيسية وانتظارات فرعية.**

الانتظارات الرئيسية في العقائد فلابد للانسان ان يفهم حقيقة وجوده ويعرف خالقه وينفتح على العالم، وعليه ان يدرك انه لا بد من دين يفهمه حقيقته ويعرفه بخالقه ويستعرض له اسماء وصفات جلال وجمال ذلك الخالق ويبين له كيفية علاقة الانسان بالله و... اما انتظارات الانسان الفرعية فتتمحور حول بعض الامور من قبيل ضمان اقتصاد المجتمع البشري وشؤونه الصحية والقضايا الاخلاقية و... ورد في تحف العقول ان رجلا ارتدى ثيابا جميلة ودخل المدينة بظاهر انيق. فلما راه بعض مسلمي صدر الاسلام قالوا: ما اعقل هذا الرجل فقال النبي ﷺ: **«ان العاقل من وحد الله»**[٢]. والدليل على ان الاعتقاد انتظار رئيسي واصلي للانسان

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٣.

(٢) تحف العقول: ص٥٤.

والاخلاق والصحة وو الاقتصاد من انتظاراته الفرعية هو ان الانسان الذي يؤمن بانه بين يدي الله على الدوام وانه عالم بظاهره وباطنه وانه اعرف من الانسان بنفسه وان هذه المعرفه مودعة محفوظه وستظهر في عالم اخر يصعب ادراكه سوف لن يملك من حيلة سوى التسليم المحض لصاحب تلك المعرفة، فالانسان الذي يعتقد ويؤمن بالمعاد ويعلم ان ظرف ظهور عين حقيقة الدين لا يمارس الظلم والاحتكار و. . . قط فالقيامة ويوم الدين امامه الذي يصعب للغاية ادراكه، فقال فيه تبارك وتعالى في محكم كتابه ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾[1]. القيامة التي لا يدرك الانسان حقيقتها مالم يبلغ مقام الفناء ومقام الانسان الكامل القيامة التي ثقل لحملها على السموات والارض ﴿ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗ﴾[2]. القيامة التي يتحقق فيها الوجود العيني للدين أي تحل في ظلها قضايا الانسان الاخلاقية والاقتصادية والصحية وما شابه ذلك.

تنبيه: المراد من الانتظار في الدين هنا: اولا الانتظار الصادق لا الكاذب. ثانيا: اريد بالانتظار هنا الحاجة والتوقع. ثالثا: المراد الانتظار الاصلي وكذلك الانتظار الفرعي التي يكون الدين بصدد ضمانها.

❖ ثالثا: حقيقة الانسان

بعد ان فرغنا من تعريف الدين وبيان حدوده وتفسير الانتظار واقسامه، نخوض هنا في بيان الجزء الثالث من مركب موضوع البحث ونريد به مسئلة الانسان وماهيته. فمعرفة وجود الانسان وماهيته وكيفية تركيبه من الجسم والروح ومعرفة تجرد الروح وكيفية ارتباط الروح بالجسم المادي إلى جانب الوقوف على الكمال المنشود للانسان وسبيل الوصول إليه والارشاد إليه وانواع ارتباط الانسان بنظام

---

(١) سورة الانفطار، الآية: ١٧-١٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.

الوجود وظواهره و. . . من القضايا المهمة المطروحة في مبحث معرفة الانسان. وافضل سبيل لتشخيص هذه الامور والاصول الاستعانة بكلام خالق الانسان وما اورده في القران الكريم ذلك لان القران نزل لهداية الانسان وتكامله وقد اوضح بجلاء الامور المذكورة.

❖ حقيقة الانسان من وجهة نظر القران

رصيد الانسان الفقر والحاجة كما يصفه الله تبارك وتعالى في القران ويراه عين الربط والفقر الوجودي، أي ان وجوده برمته يعتمد على الحق تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[1]. فان وجد الانسان نفسه عين الفقر والحاجة سيعرف ربه عين الغنى والمطلق «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**»[2]. كما اعتبر الله الانسان خليفته. ولابد لهذا الانسان من معرفة الله ليعرف كيفية خلافته لله ذلك لاستحالة معرفة الخليفة دون معرف «**المستخلف عنه**» فهو خليفة الله وانى له بمعرفة كيفية هذه الخلافة ومالم تحصل معرفة الله. والقران الكريم قد دون كتاب الانسان الوجودي في مقامين حيث تحدث في المقام الاول عن هوية الانسان ليعتبره «**حي متاله**» تتجلى حياته في تالهه والتاله هو ذوبانه في ظهور الالهية خلافا لما ساد من تعرف للانسان على انه حيوان ناطق. وهوية الانسان هذه تابى التبديل ذلك لانه خلق في «**احسن تقويم**» واجمل صورة فلا الله يبدله كونه خلقه بافضل وضع ولا ما سوى الله يغيره لانه لايملك القدرة على تغييره وتبديله ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[3]. فقد عرف القران الانسان بحيث يعلم من اين اتى واين سيرحل وماذا عليه ان يفعل في الدنيا. اما في المقام الثاني فالقران يبين كيفية رشد جوهره الملكوتي الذي يمثل الحياة والتاله، ويبين كذلك طريق بلوغه الكمالات الوجودية، ويتحدث

(١) سورة فاطر، الآية: ١٥.
(٢) بحار الانوار: ج٢ ص٢٢ ص٣٢.
(٣) سورة الروم، الآية: ٣٠.

بشان أسباب سهولة وصعوبة اجتياز الطريق ومميزات المرشد والدليل.

فالقران يعتبر الانسان موجودا يتمتع بفطرة التوحيد وينطوي على عقل وادراك ينبغي له تنمية جوهرة وجوده فان سعادته في بلورة هذه الجوهرة والتي لا تتم الا من خلال طرح مشروع وبرنامج عن طريق عارف حقيقي بالانسان أي الله تبارك وتعالى وذلك المشروع والبرنامج هو دين الله الذي يعالج كافة ابعاد الانسان الوجودية وسائر صلاته وعلاقاته. وسنتناول في القسم التالي ـ بعد ان فرغنا من بيان المبادى التصورية لهذه المسالة أي الدين والانتظار والانسان ـ هذه المسالة وهي: ما سبل ومناهج تبيين انتظار البشر من الدين؟ هل ينبغي التمسك بالمصادر الدينية لحل المسالة ام هناك ضرورة للاستعانة بالمصادر الخارجة عن الدين ثم ماهي هذه المصادر؟ هل هي المناهج العقلية ام التجريبية ام الشهودية ام التاريخية؟



القسم الثاني

اساليب تبيين انتظار البشر من الدين

الفصل الاول:

تبيين انتظار البشر من الدين

عن طريق مناقشة ادلة ضرورة بعثة الانبياء عليهم السلام الدليل العقلي من الادلة ذات السابقة العريقة في علم الكلام وموقعه في مبحث النبوة. حيث يتم في هذا المبحث اثبات اصل ضرورة النبوة وحاجة الانسان إلى الوحي بالادلة العقلية ثم تردف بفوائد البعثة انذاك تطيح الشبهات الواردة على النبوة والردود عليها. اما اثبات ضرورة نزول الوحي والبعثة لايصال الانسان لسعادته الواقعية فيمكن بيانه بهذه المقدمات:

أ ـ ان خالق الانسان هو الله العليم والحكيم والذي خلقه لهدف وغاية رفيعه.

ب ـ الانسان حقيقة ابدية وعليه ان ينطلق في الصراط المستقيم نحو الخلود والابدية ليضمن من خلال ذلك سعادته الابدية وان زل عن هذا الطريق فيعاني من البؤس والشقاء والحرمان من السعادة الابدية.

ج ـ بما ان الانسان مخلوق الله العليم والحكيم فالله وحده الواقف على حقيقته وابعاده الوجودية ومتطلباته وليس لمن سواه معرفة بحقيقة الانسان وحاجاته ومتطلباته الواقعية.

د ـ لما كان الله وحده العالم بحقيقة الانسان وابعاده الوجودية وحاجاته ومتطلباته فلا يسع احد تلبية حاجاته ومتطلباته ولو اراد الانطلاق بهذا الاتجاه لاخطأ وانحرف كونه ليس معصوما فيهيئ له أسباب السقوط والانحطاط ويؤدي به إلى الحرمان الابدي ولاينسجم هذا السقوط والحرمان مع لطف الله وحكمته. ومن

هنا فان الله هو الذي يتكفل بمشروع هداية الانسان بواسطة رسالة الوحي المعصوم المرسل من عنده ليزوده بكتاب الله المنزه والمعصوم فيصون الانسان حياته من الزلل والانحراف من خلال الاقتداء بهديه والسير على الدرب فينال السعادة ويفوز بهدفه الفاني لقاء الله تبارك وتعالى فيعيش تلك السعادة الخالدة في ظل هذا اللقاء. والبرهان المذكور المبين على نحو الاجمال يثبت العلاقة القائمة بين عمل الانسان في الحياة وسعادته الابدية، وحيث ان شؤون حياة الانسان شاملة ومتشعبة فقد تضمن الدين شؤونا مختلفة وانطوى على مشاريع متنوعة. وبما ان للانسان ابعاد عقائدية واخلاقية وحقوقية وفقهية ويتطلب برمجة وتخطيط في كل هذه الميادين فانه ينبغي ان يشتمل الدين على كل هذه الابعاد ويلبي متطلباته العقائدية والاخلاقية والفقهية وان يحمل في طياته مختلف البرامج وعلى جميع صعد الحياة ليعتمدها الانسان في بلوغه السعادة الابدية. وحيث ان قضية الوحي والنبوة واثبات ضرورة الرسالة وبيان منافع وفوائد الدين تعود من جهة إلى العلوم الانسانية والعلوم الانسانية هي الاخرى لا يتحقق نصابها الكامل دون معرفة حقيقة الانسان وان حقيقة الانسان اصلية ابدية وخالدة فلابد ان تكون هناك سعادة خالدة او شقاءا خالدا لهذا الموجود الخالد. ومن جانب اخر فان سعادة الانسان او شقائه تتحصل عن طريق العقيدة والاخلاق والممارسات الفقهية والحقوقية، والامور المذكورة هي الاخرى مرهونة بتصحيح علاقة الانسان بنفسه وبربه وبالعالم المحيط به. وعلى هذا الضوء طرح ابن سينا (ره) مسالة الوحي والنبوة وحاجة المجتمع البشري إلى النبي خلال المباحث المتعلقة بالعبادة والزهد والعرفان. وقال المحقق الطوسي في شرحه لاشارات وتنبيهات ابن سينا ان سر طرح مسالة النبوة مقترنة بالعبادة والزهد والعرفان وبيان مقامات العرفان ان وضع سلسلة من القوانين العادية يكفي لضمان حياة مادية ومعنوية مستقرة للانسان، فهنالك بعض الجماعات التي تعيش في انحاء الارض وتتمتع بحياة دنيوية امنة دون ان يكون لها دين لكن ان اراد المجتمع حياة انسانية سعيدة فلا تبدو ميسرة دون الوحي والنبوة. ومن هنا ورد مبحث الوحي

والنبوة في مطاوي مقامات العابد والزاهد والعارف ليتبين ان حاجة الانسان للوحي وانتظار المجتمع من الدين في جميع الشؤون العلمية والعملية العبادية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ولا تقتصر على الحياة المادية والدنيوية[١]. ولما كان الوحي والنبوة يوصل الانسان إلى نيل سعادة الدنيا والاخرة فان الانسان المؤمن العارف بالدين يسال الله حسنات الدنيا والاخرة ويتضرع **إلى الله قائلاً** ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٢]وحسنة الدنيا هي النظام الاقتصادي والمالي السليم والنظام السياسي والاجتماعي الصحيح والدقة في العمل والنظام والرفيق الصالح والمعلم الحسن وسعة المعيشة والاخلاق الحميدة والامانة والعدالة وما شابه ذلك، وحسنة الاخرة رضوان الله والجنة. قال الامام الصادق عليه السلام في بيان حسنة الدنيا والاخرة «**رضوان الله والجنة في الاخرة والسعة في المعيشة وحسن الخلق في الدنيا**»[٣].وقال في رواية أخرى «**والسعة في الرزق والمعاش وحسن الخلق في الدنيا**»[٤]. وقال في رواية أخرى ايضا «**حسن الصحبة**»[٥]. وعليه يستفاد من البرهان العقلي والروايات النقلية ان الدين باستعراضه لبرامجه المتنوعة بصدد تنظيم حياة المجتمع البشري الدنيوية والاخروية ليفوز بحسنة الدنيا وحسنة الاخرة.

---

(١) الاشارات والتنبيهات: ج٣ ص٣٧٤ بتصرف.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٠١.
(٣) بحار الانوار: ج٦٩ص٣٧٣ج١٨.
(٤) نور الثقلين: ج١ص١٩٩ ج٧٢٥.
(٥) مستدرك الوسائل: ج١٣ص٧ج٢.

الفصل الثاني:

تبيين انتظار البشر من الدين عن طريق دراسة فوائد الدين

دراسة منافع الدين إحدى طرق تبيين انتظار البشر من الدين وحاجته إليه والتي وردت في المصادر الكلامية بعنوان فوائد بعثة الانبياء وفي قاموس علماء الاجتماع بحصيلة عمل الدين او خدمات ومعطيات الدين.

فوائد الدين على لسان الخولجه الطوسي (ره).

طرح الخواجه نصير الدين الطوسي (ره) فوائد الدين باسهاب في كتاب الكلاميين (تجريد الكلام وتلخيص المحصل). فقال في تجريد الكلام (البعثة حسنة لاشتمالها على فوائد (١) كمعاضدة العقل فيما يدل عليه فيما لايدل (٢) واستفادة الحكم (٣) وازالة الخوف (٤) واستفادة الحسن والقبح (٥) والنافع والضار (٦) وحفظ النوع الانساني (٧) وتكميل اشخاصه بحسب استعداداتهم المختلفة (٨) وتعليمهم الصنايع الخفية (٩) والاخلاق والسياسات (١٠) والاخبار بالعقاب والثواب فيحصل اللطف للمكلف)[١].

١ ـ تاييد المستقلات العقلية

توضيح الامور على قسمين:

١ ـ الامور التي يدركها العقل بصورة مستقلة ويبدي حكمه فيها كعلم الانسان بحاجة العالم إلى خالق حكيم بالعلم والقدرة والحياة والوحدانية وما شابه ذلك.

---

(١) كشف المراد، تصحيح حسن زاده املي ص٣٤٦.

٢ ـ الامور التي لايدركها العقل بصورة مستقلة ولا يحكم فيها مستقلا من قبيل بعض مسائل اصول الدين واحكامه الفرعية. والدليل النقلي يؤيد ويؤكد الامور التي يدركها العقل ويصدر حكمه فيها بصورة مستقلة وتتم فيها الحجة على المكلف. بعبارة أخرى فائدة بعثة الانبياء في ما يتوصل إليه العقل بصورة مستقلة تاييدها واتمام الحجة على المكلفين.

٢ ـ استفادة الحكم من مدركات العقل غير المستقل

بعثة الانبياء من الامور التي يدركها العقل بصورة مستقلة وليس له من حكم فيها بالاستقلال فمثلا عقل الانسان لايدرك بعض صفات الله الجزئية كالسمع والبصر والكلام الالهي وكذلك حقيقة المعاد وكيفيته والاحكام الشرعية ولا بد ان يستفيدها من النقل والامور التي لايدركها العقل بصورة مستقلة مختلفة لان العقل لايدرك بعضها اصلا بينما يفهم بعضها الاخر في الجملة. والدليل النقلي وتاسيس وتجديد بالنسبة لتلك التي لا تخضع لادراك العقل البرهاني والتاييد بالنسبة لما يدركه في الجملة.

٣ ـ ازالة الخوف

يدرك الانسان بالدليل العقلي ان وجوده وتصرفه مخلوق ومملوك لله تعالى خالق الكون فان اشتغل بالطاعة خشى ان يكون تصرف في ملك الله دون اذنه وان لم يشتغل بالطاعة فربما يعاقب على ترك الطاعة فالامتناع عن التصرف احيانا مكروه من جانب الله. بعبارة أخرى لو اراد القيام بعمل خشى ان لا يكون مجازا، ولو اراد ترك عمل خشى ان لا يكون اتى بوظيفته. ومن هنا يخشى الله في كلا الحالين الا ان هذه الخشية تزول ويقوم بوظائفه دون خشية بواسطة بعثة الانبياء وبيان حدود فعالية الانسان.

٤ ـ رفع حاجة الانسان في معرفة حسن وقبح الافعال

افعال الانسان ليست متساوية فبعضها حسن وبعضها الاخر قبيح. والعقل مستقل في معرفة حسن او قبح بعض الافعال بينما يحتاج في بعضها الاخر إلى دليل ومرشد وبعثة الانبياء وشريعتهم تقضي هذه الحاجة. وعلى هذا الاساس ستتميز الاشياء الحسنة والقبيحة.

٥ ـ تعريف الانسان بالاشياء الضارة والنافعة

هنالك بعض الاشياء الموجودة في الطبيعة كالمواد الغذائية والادوية وهي نافعة ومفيدة للانسان بينما ضارة للانسان بعضها الاخر كالسموم الا ان العقل انما يدرك نفعها وضررها حين يجربها ويختبرها والتجربة والاختيار تتطلب مضي مدة طويلة وتحمل اضرار جسيمة. وفائدة البعثة ان يتعرف الانسان على الاشياء الضارة والنافعة على ضوء ارشادات الوحي دون ان يتكبد أي ضرر.

٦ ـ حفظ النوع الانساني

ان الانسان مدني بالطبع واجتماعي وحيث يعيش المجتمع البشري حالة من التنازع والتي تؤدي إلى الفوضى والارباك واختلال النظام بسبب غريزة حب الذات والانانية فانه بحاجة إلى قانون ينقاد له الجميع ويسود في ظله وبتطبيقه الامن والوئام في صفوف المجتمع بغية حفظ النوع البشري من الهلكة. ولابد ان يكون ذلك القانون من جانب خالق الانسان والكون كما لابد ان يكون حامله ذا شخصية فذه يذعن له المجتمع. ومن هنا يبعث الانبياء من جانب الله لكي اولا: يفهمون البشر احكام الله وقوانينه وثانيا: الترغيب على الطاعة والصد عن المعصية وثالثا: حفظ النوع الانساني في ظل اجراء القانون الالهي وعليه فاحدى فوائد بعثة الانبياء حفظ النوع الانساني.

٧ ـ اكمال الاخرين حسب استعداداتهم

يتفاوت الافراد من حيث ادراك الكمال وتحصيل المعارف وكسب الفضائل فالبعض يتمتع بنفس قوية وقوة مدركة عظيمة والبعض الاخر بالعكس وهنالك من له نفس وادراك متوسط والانبياء يربون الافراد ويهذبونهم بما ينسجم واستعدادتهم المختلفة ويبلغون بهم السمو والكمال. بعبارة أخرى بما ان عقول الناس متفاوته والانسان الكامل نادر والاسرار الالهية عزيزة الوجود بعث الانبياء ليبلغوا بكل فرد كماله المطالوب حسب استعداده[1].

٨ ـ تعليم الصنايع والفنون النافعة

ان النوع الانساني يحتاج إلى ادوات ووسائل صناعية بغية بقاءه وديمومته. والصناعة تتطلب علما وفنا خاصا يتاتى عن طريق التمرين والتجربة والتمرين والتجربة تدريجية ايضا وتتطلب تراكما زمنيا. واحدى فوائد بعثة الانبياء تعليم الناس الصناعات والفنون الخفية عليه، كما علم الله نوحا عليه السلام صنع السفينة وداود عليه السلام صنع الدروع وعلموها الفاس.

٩ ـ تعليم الاخلاق والسياسة

يحتاج الانسان في حياته ومعيشته إلى علم الاخلاق والسياسة ليهذب من خلالها نفسه ويسمو باخلاقه ويتمكن من ادارة شؤون بيته وبلده. والانبياء يرشدون البشرية إلى (الاخلاق الفاضلة) ويعلمونها كيفية تدبير شؤون المنزل وادراة امورها الاجتماعية وحيث للاخلاق والسياسة اهمية فائقة في الحياة الانسانية قال الله تعالى لنبيه ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[2]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ

---

(١) تلخيص المحصل ص٣٦٣.

(٢) سورة الاعراف، الآية: ١٩٩.

وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

١٠ ـ بيان ثواب وعقاب الاعمال

الانبياء عالمون بواسطة الوحي بثواب وعقاب الاعمال ويطلعون البشرية بتعاليمهم على هذا الثواب والعقاب، فيجعل هذا الاطلاع الانسان قريبا من الطاعة بعيدا عن المعصية وبالنتيجة شموله بالطاف الله ورحمته.

١١ ـ التعريف بالانسان الكامل قلب عالم الامكان

كما ان للانسان قلب يضمن حيوية ونشاط سائر الاعضاء فان المجتمع البشري بحاجة إلى قلب يحكم ظاهرة وباطنه ليكون في خاتمه المطاف (ولي الله). والولاية على عهد النبي ﷺ كانت له ثم من بعده لخليفته وهو حجة الله على خلقه[2]. وقد عرف النبي ﷺ الناس بهذا الحجة والخليفة.

١٢ ـ التضامن الاجتماعي

يرى علماء الاجتماع في دراستهم الاجتماعية للدين ان إحدى معطياته او فوائده التضامن الاجتماعي. فروبرت اسميث يزعم ان للدين فائدتان احدهما تنظيم سلوك الفرد لخير المجتمع والاخرى اثارة مشاعر الاشتراك والوحدة الاجتماعية. ومن هنا فان الشعائر الدينية تكرا للوحدة التي ترسخ الاشتراك الاجتماعي[3]. كما ذهب عالم الاجتماع دور كهايم إلى ان التضامن الاجتماعي احد فوائد الدين وقال: ان المناسك الدينية ضرورة لتسديد اخلاقنا الاجتماعية كضرورة الطعام

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٢) تلخيص المحصل ص٣٦٤.

(٣) علم الاجتماع الديني ص١٧٠.

لحفظ بنيتنا الجسمية ذلك لانه يحفظ اصحابه من خلال هذه المناسك[١]. ولعله يمكن تاييد هذه الفائدة بالاستدلال بهذه الاية الشريفة ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٢]. فرغم وجود الاخوة النسبية بين افراد الاسرة، غير ان دائرتها محدودة بينما واسعة وشاملة هي دائرة الاخوة المتمحورة حول الايمان والتدين لان اساسها الايمان بالله الذي خلق جميع الناس من منشا واحد وارشدهم إلى بلوغ هدف واحد من خلال تعاليمه المنسجمه ولا ننسى ان هناك فوائدا اجتماعية أخرى اوردها علماء الاجتماع للدين[٣].

١٣ ـ حيوية المعيشة

قال بعض علماء الاجتماع في تحليلهم للدين ان جوهر الدين يكمن في انه ردة فعل ازاء التهديد بالعبثية في الحياة البشرية وسعي للتعامل مع العالم بصيغة واقعية ذات معنى[٤]. وربما كانت هذه الفائدة من اهم فوائد الدين فالحياة لا تحمل من مغزى للانسان الا حين تحمل في طياتها معنى وهدفا وفلسفة تميط اللثام عن علية وجودها فالواقع اننا نظفر باحد اعظم فوائد الدين ان بينا معنى الحياة من حيث خلود الانسان وابديته. ومن هنا قيل ان سر حاجة الانسان للدين ابدية وخلود الحياة الاخروية ولولا الخلود لكانت الحياة لغوا.

١٤ ـ الارشاد إلى حياة مستقرة

ان الدين يزود الانسان بالمعارف التي تذلل له الحياة وتجعلها لذيذة لديه وبعبارة أخرى تكون هنالك علاقة ودية بين الانسان والعالم من حوله وحياته بحيث

---

(١) علم الاجتماع الديني ص١٧٩.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٣) علم الاجتماع الديني ص٢٣٩.

(٤) الدين والافاق الجديدة: ص١٢٧.

ينظر بايجابية لجميع الاشياء. فالدكتور بيل يناشد الاخرين بالتحلي بالنظرة الايجابية ويقول «يمكنك التغلب على جميع مشاكلك الشخصية من خلال الثقة بالنفس والنشاط والحيوية والنظرة الايجابية والعون الالهي»[1] ويرى القران الكريم ان اطمئنان النفس ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[2] احد معطيات الدين.

١٥ ـ معالجة الشعور بالوحدة

ان إحدى معطيات الدين والايمان تكمن في غياب الشعور بالوحدة لدى الانسان الذي يؤمن بالله والمعاد.

تنبيه: ان إحدى المنغصات الدائمية للانسان والتي يعاني منها على الدوام تتمثل في الشعور بالوحدة والغربة. والوحدة انواع:

١ ـ الوحدة الفيزيائية في ان يعيش الانسان لوحده في وسط بعيدا عن الاخرين.

٢ ـ لا يفهمه الاخرون فهو حاضر وسط الجماعة الا ان الاخرين لايدركون مكانته ولا يستفيدون من كفاءته. ومن هنا فهو يشعر بالغربة وهذا هو المعنى المراد من غربة الامام عليه السلام.

٣ ـ لا يسع الاخرون معالجة عيوبه ونقاط ضعفه.

٤ ـ يمكن ان يفهمه الاخرون ويسعون لمعالجة مشاكله الا انهم لا يعملون سوى ما يخدم مصالحهم ويدفعهم «حب الذات» للسعي بما يجلب لهم المنافع ويدفع عنهم الاضرار وحيث يشعر الانسان بان الجميع يفكرون في انفسهم فهو يشعر بالغربة. وهنا ياتي دور الايمان والدين في انقاذه من الشعور بكافة انواع الغربة

(١) الدين والافاق الجديدة: ص١٢٧.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

ومن هنا فان الانسان المؤمن لا يشعر بالغربة قط ذلك لايمانه بان الله تبارك وتعالى اقرب إليه من حبل الوريد ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[١] وهو معه حيثما كان ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[٢]. وهو جليس من جالسه كما ورد في الحديث القدسي اذ اوحى الله إلى نبيه داود عليه السلام يخبر اهل الارض بان الله تعالى قال «اني جليس من جالسني ومونس لمن انس بذكري»[٣]. كما لا يعلم الانسان سوى الله كونه تبارك وتعالى يحول بين الانسان وحقيقته ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾[٤] وهو يعلم بسره واخفى من سره ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾[٥] كما لله بصفته ذا العلم المطلق والقدرة المطلقة والرحمة المطلقة رفع نقائض الانسان وازالة مواطن ضعفه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٦] ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٧] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٨] وحيث ان الله الغني المطلق فهو الذي يقضي حاجات الانسان دون عوض ومقابل وان دعا الانسان للعبادة والطاعة وكونها الهدف من خلق الانسان فكون انعكاسات العبادات ومنافعها تعود على نفس الانسان ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[٩] ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[١٠].

١٦ ـ الدين والحضارة

الرقي والتمدن احد فوائد الدين فما من موضع برز فيه الدين الا وتجلت وتالقت معالم المدنية والحضارة. وللوقوف على دور الدين في النهوض بالمدنية لابد من بيان تعريف المدنية ومميزاتها ومن ثم الخوض في علاقتها بالدين انذاك

---

(١) سورة ق، الآية: ١٦.
(٢) سورة الحديد، الآية: ٤.
(٣) بحار الانوار: ج٦٧ ص٢٧.
(٤) سورة الانفال، الآية: ٢٤.
(٥) سورة طه، الآية: ٧.
(٦) سورة المجادلة، الآية: ٧.
(٧) سورة البقرة، الآية: ١٠٦.
(٨) سورة النور، الآية: ٢٠.
(٩) سورة الذاريات، الآية: ٥٦-٥٨.
(١٠) سورة ال عمران، الآية: ٩٧.

يتضح دور الدين في المدنية قيل في تعريف الحضارة والمدنية: الحضارة تنظيم اجتماعي تتفجر في ظله الابداعات الثقافية كما عدوا بعض الامور من قبيل الاحتياط في القضايا الاقتصادية والتنظيمات السياسية والسنن الاخلاقية والسعي من اجل المعرفة ونشر الفن من عناصر الحضارة واركانها وقيل: انما تبرز الحضارة حيث تنتهي الفوضى والارباك ويحل الامن والنظام والانسان يستطيع في ظل سيادة النظام والامن ان ينطلق لتحصيل العلم والمعرفة واعداد أسباب تحسين المعيشة. اضف إلى ذلك فان من عناصر الحضارة الاوضاع الاقتصادية من قبيل الزراعة والصناعة والتجارة والاوضاع السياسية كالحكومة والدولة والقانون إلى جانب العوامل الاخلاقية والعقلية والروحية بالاضافة إلى العوامل الجغرافية من قبيل المياه والمواد المعدنية والمنتوجات الغذائية[١]. ولا بد من الالتفات إلى الدين وحقيقته عقب تعريف الحضارة وبيان مميزاتها وعناصرها. فالدين سلسلة من العقائد والاخلاق والاحكام والمقررات الفقهية والحقوقية التي تهدي الانسان وتسوقه إلى نيل السعادة الحقيقية. فالدين يخرج الانسان من الوحشية والحيوانية ويدخله في وادي الحظيرة الانسانية ليتمكن في ظل رعايته للقوانين الشرعية والالتزام بها والتي تنسجم مع كمالاته العقلية والفطرية من نيل السعادة الابدية. والانسان يبلغ المرحلة العقلائية بعد ان يجتاز المرحلة الحيوانية فينهض عقله بمسؤولية الاخذ بزمام امور السلوك والتصرف وفي ظل هذه الظروف يفعل الانسان الامن والنظام فتتبلور عناصر المدنية والحضارة في اطار الشريعة الالهية. والانسان المتحضر وفق هذا المعنى انسان رباني لا يعيش سلوكه الاجتماعي والشخصي الا على ضوء القانون الالهي. ويعلب الدين الاسلامي من بين سائر الاديان دورا متميزا في خلق الحضارة بفضل اصوله وتعاليمه الرفيعه وتاريخه الناصع والشاهد على ذلك مختلف الكتب والمؤلفات التي سطرت بشان الحضارة الاسلامية[٢]. ما ورد في فوائد الدين ودوره

---

(١) تاريخ الحضارة، ويل دورانت: ج١ص٦-١٣٣ .

(٢) راجع تاريخ الحضارة الاسلامية لجورجي زيدان وحضارة الاسلام والعرب.

من وجهة نظر علماء الكلام وعلماء الاجتماع وعلماء النفس والتاريخ والسير يوضح امكانية انتظار وتوقع هذه الفوائد من الدين لان الدين لو افتقر إلى قابلية ضخ المعطيات والفوائد المذكورة لما خلف كل هذه الاثار ولاسيما دينا كالدين الاسلامي الذي احدث ثورة في صفوف المجتمع الجاهلي انذاك وانطلق به في ميادين العلم والعقل والنهضة الفكرية. وعلى ضوء الدور الذي لعبه الاسلام في المجتمع البشري وافرز تلك المعطيات نرى من الضروري الاشارة إلى بعض فوائد بعثة الانبياء من وجهة نظر القران للوقوف على تلك القابلية.

❖ فوائد بعثة الانبياء عليهم السلام في القران

رغم ان القران كتاب هدى نزل لهداية الانسان وايصاله إلى السعادة وشاطئ الامان الا انه اشار في اغلب الايات إلى الفوائد الخاصة لبعثة الانبياء من الضروري التنويه هنا إلى بعضها:

١ ـ تعليم الحقائق البعيدة المنال

ان الانبياء يعلمون الناس الحقائق التي لا يقفون عليها دون الوحي ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾[1] ويستفاد من اخر الاية ان الانبياء يعلمون الناس بعض العلوم التي يتعذر وقوف الانسان عليها سوى من خلال الوحي ولا يسع الانسان التعرف عليها من طريق اخر غير الوحي والواقع ان القران يتضمن نوعين من العلوم قسم من العلوم والمعارف التي يمكن التوصل اليها عن طريق الاستدلال التجربي او العقلي او الشهودي والقسم الاخر الذي لاسبيل إليه سوى عن طريق الوحي كاغلب حقائق التوحيد ومعارف المعاد وعالم الاخرة وما بعد الموت والقيامة.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥١.

٢ ـ التهذيب والتزكية

تزكية النفوس وتهذيب الارواح من الادران الاخلاقية هو الاخر احد فوائد القران كما صرح بذلك القران في عدة ايات ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾[١] ولتهذيب الانسان جانب عملي يسبق جانبه العلمي والمربي انما يوفق وينجح في تربيته حين يستطيع بالاضافة إلى تعليمه ان يكون قدوة تامة لتعليماته ويعكس تعاليمه التربوية من خلال صفاته واخلاقه واعماله. ويبدو هذا الامر ميسرا حين يصطفى الانبياء من جنس البشر ليكونوا اسوة وقدوة ويعكسون بصفاتهم وسلوكهم منزلة الانسان الكامل ليتاسى ويقتدي بهم ابناء المجتمع ويسيرون خلفهم فيطوون الطريق بكل مطباته ومنعطفاته بزعامتهم ومن هنا جاء في القران ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٢].

٣ ـ اقامة القسط والعدل

يرى القران الكريم ان بسط العدالة الاجتماعية التي تستلزم نزول الكتاب والميزان من فوائد بعثة الانبياء ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[٣]. وعلى الناس ان يقيموا العدل وينهضوا بوجه الظلم ليتسع نطاق العدل والقسط.

٤ ـ تحرير الانسان

إحدى فوائد البعثة انقاذ الانسان من مخالب الاسر وتحريره من القيود والاغلال فالحكومات المادية عادة ما تقيد الناس وتفرض عليهم بعض الامور بغية ترسيخ دعائم حكومتهم. فاتى الانبياء عليهم السلام لتحريرهم من هذه القيود والاغلال التي

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٢ وسورة البقرة، الآية: ١٢٩.

(٢) سورة الاحزاب، الآية: ٢١.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

تطوق اعناقهم ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[(١)]. فالوثنية والخرافات والعادات والتقاليد الخاطئة والجهل والقوانين المنحرفة والاستبداد والاستغلال والاستعباد والاستحمار وما شابه ذلك لمن الاعباء الثقيلة والاغلال الوبيلة التي ترهق كاهل الناس وتطوق رقابهم ويبعث الانبياء لتحريرهم من مختلف القيود الثقافية والاقتصادية والعسكرية و . . .

٥ ـ رفع الاختلاف

عانى الناس على الدوام من الاختلاف واكتوت المجتمعات البشرية بنيران الاختلافات فتنازعت واقتتلت وتبددت امكاناتها وطاقاتها البشرية. ولو زالت هذه الاختلافات لوظفت تلك الطاقات والامكانات في خدمة البشرية لاتجهت صوب الرقي والسمو والتكامل. ومن هنا صرح القران بان إحدى فوائد بعثة الانبياء رفع الاختلاف ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾[(٢)]. والاختلاف قبل وضوح الحق يمهد السبيل ويوفر الارضية الخصبة لازدهار العلم والوحي انجع ميزان لتقييم الاراء ووجهات النظر غير ان الاختلاف بعد اتضاح الحق سيمهد لانهيار المجتمع وسقوطه طبعا للوحي والنبوة سبل العلاج والوقاية اللازمة لذلك.

٦ ـ اثارة الفطريات والمستقلات العقلية

يدرك الانسان بالدليل العقلي اغلب حقائق عالم الوجود التي تعود إلى الوجود وعدمه وكذلك اغلب الواجبات والمحظورات الا ان الوساوس كامنة على الدوام في هذا الادراك العقلي. وعلى هذا الاساس فان لطف الله يقتضي بعث الانبياء ليصححوا مدركاته العقلية ضمن دعوتهم الناس إلى الله ويؤيدوا ويؤكدوا

(١) سورة الاعراف، الآية: ١٥٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

ويصلحوا ويعدلوا احيانا ما يتوصل إليه العقل البشري من خلال كلماتهم النابعة من الوحي السماوي. وهذا ما ذكره القران الكريم ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1]. يذكر ان ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ و«اولوا الابصار» وامثال ذلك من العناوين الخاصة التي استخدمها القران لتكون خطابا خاصا للعقلاء والعلماء.

٧ ـ الدعوة إلى الحياة

يستفاد من بعض ايات القران ان الانبياء يدعون البشرية إلى حياة جامعة وكاملة وحقيقية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[2]. ونخلص مما سبق إلى ان الدين وخلافا لما يظنه اغلب السذج من انه مجرد قضية شخصية إلى انه حقيقة حاضرة في جميع شؤون حياة الناس ويصبغ كافة شؤون الحياة بصبغته الربانية والانسانية.

❖ خصوم الانبياء والوحي

تحدث المتكلمون في بيانهم لضرورة بعثة الانبياء عن فوائد البعثة. لكن بالمقابل هنالك فئة تعارض بعثة الانبياء وتقف بوجه الدين السماوي فتنفي كل فائدة لهذا الدين وهؤلاء على قسمين قسم يعارض الدين عن علم وينفي وجوده واخر تنكر له بوحي من رغباته واهوائه ولامبالاته وبغية التحرر والانفلات دون ان تكون له رسالة وقد عبر عنه المتكلمون بالاوباش[3]. ومن الواضح ان ليس هنالك من سبيل إلى البحث العلمي بغية اقناع الفئة الثانية فاتباع هوى النفس لا يقنع بما يقف حجرة عثرة في طريقه اما بالنسبة للفئة الاولى ذات الشبهات العلمية فانه يمكن تقييم هذه الشبهات والرد عليها.

---

(١) سورة ابراهيم، الآية: ٥٦.

(٢) سورة الانفال، الآية: ٢٤.

(٣) شرح المقاصد: ج٥ص٩-١٠.

❖ شبهات معارضي بعثة الانبياء

إحدى الشبهات السائدة لدى المتكلمين والتي اوردوا ردودا عليها هي شبهة البراهمة. وبما ان هذه الشبهة تطرح اليوم من قبل العقلائية فسوف نذكر هنا محوري هذه الشبهة ثم نورد الرد عليها. المحور الاول ان البراهمة تقول: ان تعليمات الانبياء لا تعدو طريقين اما انها موافقة للعقل او مخالفة له، فان كانت موافقة فلسنا بحاجة إلى هذه التعليمات ذلك لان العقل سوف لن يسعه التوصل إلى هذه التعليمات وان كانت مخالفة للعقل فلا يليق بمقام الانسانية قبولها ذلك لان قبول ما يخالف العقل تجاوز لحدود الانسانية وانحدار إلى عالم الحيوانية. الجواب اولا: ان دور تعليمات الانبياء في الموارد التي يسع العقل ادراكها والحكم فيها هو تاييد وتاكيد حكم العقل وان اهتمام الانسان على ضوء تعاليم الانبياء سيتضاعف في مجال رعاية «الاحكام العقلية». ثانيا: ما الدليل على حصر تعليمات الانبياء فيما يوافق العقل او يخالفه فربما يكون هناك احتمال ثالث، بل ان اغلب تعاليم الانبياء ليست موافقة لاحكام العقل القطعية ولا مخالفة لها لانه هذه التعاليم سلسلة من الاحكام والعقائد التي لايسع العقل بمفرده ادراكها واصدار حكمه بشانها لكنه يجيزها ولا يقدم دليلا على استحالتها من قبيل اغلب جزئيات اصول الدين واحكام العبادات. وقد اشار القران الكريم من جانبه إلى رسالة الانبياء فاوجزها في تلاوة الايات وتزكية النفوس وتهذيبها وتعليم الكتاب والحكمة إلى جانب تعليمهم الانسان بعض الحقائق التي لايسعه بمفرده ادراكها ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾[1]. والخلاصة اولا: هنالك تقابل عدم وملكة وليس تناقض في عنوان الموافقة والمخالفة. ثانيا: المتقابلان في العدم والملكة لا يجتمعان معا لكنهما قد يرتفعان معا. أي يمكن ان يكون هنالك موضوع لا يوافقه العقل ولا يخالفه لان

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥١.

عنوان الاتفاق والخلاف متفرع على الادراك والموضوع الذي لايدركه العقل فهو لايوافقه ولا يخالفه وهذا هو الامتناع عن الراي الذي يعبر عنه احيانا بالراي الممتنع. ثالثا: بما ان العقل يعترف بقصوره عن اغلب معارف عالم الوجود فانه يدرك ضرورة المعلم الغيبي ويتقبلها.

المحور الثاني: ثبت بالدليل العقلي ان الله حكيم والحكيم لا يطلب من عباده تلك العبادات التي لا يهتدي اليها العقل ومن جانب اخر فان الادلة العقلية ترشد البشر إلى ان خالق الخلق حكيم وقادر افاض على عباده مختلف النعم واوجب عليهم شكر هذه النعم. وعليه فحين عرفنا الله بالعقل ومشاهدة اياته في مخلوقاته فاننا نشكره على نعمه، ومن عرف الله وشكر نعمه سيستحق ثوابه ومن انكره وجحد نعمه سيستحق عقابه وبناءا على ما تقدم فلا داعي ان يتبع الانسان اخر مثله ذلك لان الدليل العقلي يضطره إلى معرفة الله وشكره. وعليه فلا حاجة إلى النبي وتعاليمه[١].

الجواب ان نفس حكم العقل بلزوم معرفة الله وشكر نعمة هو الدليل على ضرورة بعثة الانبياء لان العقل يحتاج إلى مرشد هو النبي في كيفية وكمية معرفة صفات الله وكمالاته إلى جانب المعرفة العملية التي يتحقق بها شكر المنعم. والانبياء وان كانوا كسائر الناس الا انهم يمتازون عليهم بكمالاتهم المعنوية واخلاقهم الربانية وهذا الامتياز الروحي هو الذي اهلهم لتلقي الوحي السماوي والنهوض بمسؤولية ارشاد الاخرين. وحاجة البشر إلى المعلم والمرشد في معرفة صفات الله وكمالاته وكمية وكيفية الشكر تعزى إلى وجود الاختلافات فيها لدى العقلاء، والله تعالى لم يصدر احكاما مناقضة للعقل ولم يسال عباده تلقي التعاليم من انبيائه التي تخالف حكم العقل بل تعبد عباده بامور لايسع العقل كشفها بمفرده،

---

(١) الملل والنحل: ج٢١ ص٦٠٢.

ولا يحكم في ذات الوقت بامتناع التعبد بها والخلاصة فانه لابد اولا من البرهان العقلي لكنه لا يكفي. وثانيا ان ولي العلم واولي الالباب ليسوا بغنى عن الوحي والنبوة، وليس لهم مثل هذا المقام المنيع وهكذا كانت ضرورة الوحي والنبوة.



الفصل الثالث:

تبيين انتظار البشر من الدين عن طريق معرفة الانسان

هنالك نزعتان في تاريخ التفكير البشري: نزعة محورية الحق ونزعة محورية الانسان. والانسان في النزعة الاولى ـ محورية الحق ـ يقبل على الدين بدافع تقصي الحقيقة فاذا وقف على حقيقة الدين قبله وجنح إليه بقلبه فاذا ما امن بمفاهيمه وحقائقة اعتمده في حياته وانطلق في سلوكه على اساسه. اما في النزعة الثانية ـ محورية الانسان ـ فان اقبال الانسان على الدين ينطلق من حاجته إلى شيء ويتطلب قضائه النزوع نحو الدين. بعبارة أخرى ان الانسان يقبل على الدين لانه يشعر في قرارة نفسه بحاجة ولا يجد سوى الدين من يسعه تلبية تلك الحاجة أي ان التدين سلوك من سلوكيات الانسان وكافة افعال الانسان تنطلق من شعور وفكر معين. فان جنح الانسان للدين كان ذلك لشعور في نفسه لحاجة ويبحث عن تلبيتها في الدين وعليه فالانسان لا يجنح إلى دين مالم تتضح لديه ثلاثة مطالب:

١ ـ الشعور بالحاجة.

٢ ـ البحث عن علاجها في الدين.

٣ ـ اقتصار تلبية تلك الحاجة على الدين.

ورغم وجود هذه النزعة في ما يتعلق بانتظار البشر من الدين الا انه لابد من الالتفات إلى ان الانسان الذي يقبل على الدين بغية قضاء الحاجات ربما تكون حاجاته بادئ الامر معقولة او غير معقوله حاجات صادقة او كاذبة غير ان اغلب الحقائق تتضح لديه وتتكشف له الامور العقلائية من غير العقلائية والصادقة من

الكاذبة عن طريق الرجوع إلى الدين والتمعن فيه لان الدين يعتبر سعادة الانسان الواقعية والغائبة تكمن في القرب من الحق وضمان الحياة الابدية فيوظف كل الامكانات من اجل بلوغ ذلك الهدف الواقعي بغية فوز الانسان بتلك الحياة الابدية.وعليه فالدين يبلور ويهذب متطلبات الانسان لينال حياته الابدية ودور الدين في هداية الانسان دور فعال ومؤثر وليس دور انفعالي ومتاثر. وحيث يرجع الانسان إلى الدين بل لابد له من الرجوع إلى الدين كان من الضروري ان نتعرف على حقيقة الانسان وابعاده الوجودية وحاجاته ومتطلباته. فاذا ما تعرف الانسان على حقيقته ومتطلباته سيدرك حاجته إلى الدين ليلبي متطلباته المشروعه والحقيقية الصادقة. والخلاصة اولا: البحث عن الدين وتبيين انتظار البشر من الدين و... من فروع العلوم الانسانية. ثانيا: لا تحقق العلوم الانسانية الغاية التامة المتوخاة دون معرفة الانسان. ثالثا: انجع طريق لمعرفة الانسان الدراسة التطبيقية للادلة العقلية والنقلية والتجارب الباطنية للانسان نفسه.

❖ الانسان وجود طبيعي وما وراء الطبيعي

الانسان وجود مركب من حيثية طبيعته وما وراء الطبيعة وحيثية الطبيعة تنبثق من الطين ثم يطوي مراحل الكمال الواحدة تلو الاخرى حتى يكتمل ويلبس حلة الوجود ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾[1]. وحيثية الانسان هذه امر مادي ومتضمن للزمان خلافا لحيثية الماوراء الطبيعة الخارجة عن دائرة الزمان والمكان والتي يعبر عنها بالروح الالهية ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾[2]واصل الانسان هذه الروح والجسم فرع وتابع لهذه الروح. ورغم صعوبة معرفة حيثية الانسان الطبيعية الا ان معرفة البعد الماوراء الطبيعي يبدو غاية في الصعوبة ذلك لان هذا الجانب مجرد من الخصائص الطبيعية والمادية. بعبارة أخرى ان الروح ليست نظيرة

---

(١) سورة ص، الآية: ٧١.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٩.

الجسم بل الروح ثقل الله الاكبر والجسم ثقله الاصغر بل الجسم قشر والروح هي اللب «اصل الانسان لبه»[١] فاصل الانسان وحقيقته روحه الملكوتية ربما ان معرفة روح الانسان صعبة فان معرفة متطلباته ومعرفة علله وامراضه ومعالجتها ستكون هي الاخرى صعبة ذهب بعض المفكرين إلى حصر الانسان في محور الحس والطبيعة فحاولوا التعرف إليه والتعامل معه من خلال هذه الزاوية وهنا ينبغي الالتفات إلى ان معرفة الانسان بهذه الكيفية بمثابة معرفة الشجرة دون التعرف إلى جذورها فكما ان المعرفة التامة للشجرة تتوقف على معرفة غصونها وجذورها وتتعذر معرفتها دون التعرف على الجذور فان المعرفة التامة للانسان تكمن في الوقوف على جانبه الطبيعي والماوراء الطبيعي ومعرفته من خلال الانتصار على بعده الطبيعي ليست من معرفة حقيقة الانسان في شيء. بل معرفة حقيقة الانسان بالتعرف على روحه الالهية ومعرفة اصله والتي تكشف عن حاجاته الحقيقية الا ان المبدا الوحيد الذي يعرف الانسان ويعرفه بهذه الطريقة هو خالق الانسان كما ان من يلبي هذه الحاجات هو خالقه العارف بحقيقته.

❖ العقل والقلب والشعور الانساني

كما ان للانسان جانب عقلاني يدرك الحقائق فان له جانب عاطفي يلبي نزعاهه وميوله. فهو يتمتع بعقل وشعور يلبيان جوانب من ادراكاته الوجودية كما له قلب يلبي شهوده العرفاني اضف إلى ذلك فان له خيال وهمي يخوض بغطاء من العقل النظري في ادراك الامور الخيالية الوهمية، وبالتالي له شهوة وغضب ان نشط على ضوء ارشاد العقل العملي لعاش الحب الصادق للامور النافعة والكراهية الحقه للامور الضارة. والانسان بحاجة إلى الارشاد الشمولي لتوجيه عقله النظري على صعيد الادراك والتفكير وعقله العملي باتجاه الرغبات والميول وبالتالي ارشاده إلى

(١) بحار الانوار: ج١ص٨٢ ج٢.

الصراط المستقيم فيعرفه بعقائده الصائبة ويستعرض له الاخلاق والسلوكية الفاضلة لتتسق معرفته وحبه وكراهيته وبالنتيجة تنتظم اقواله وافعاله.

❖ الدين والحاجات العقلانية والشعورية

لايعرف الانسان العديد من المعارف والحقائق العلمية على صعيد التفكير كما يفتقر على صعيد العمل إلى اغلب الفضائل الاخلاقية والعملية. والدين تلك الحقيقة التي تزوده بالحقائق العلمية والفضائل الاخلاقية لتحصيل الكمال الاختياري. وعلى هذا الضوء بعث الله للانسان من يعلمه المعارف والحقائق العلمية التي يحتاجها فينطلق الانسان باتجاه الكمال على ضوء استيعابه وتقبله الاختياري لتلك المعارف والفضائل على خلاف بعض الموجودات التي تسير نحو الكمال دون هذه العلل الظاهرية.

توضيح: الموجود بنمو عام في اصطلاح الحكماء على اربعة اقسام: موجود ناقص ومستكفي وتام وفوق التام. والقسم الثالث والرابع الذي لايشوبه نقص وبالتبع لا يحتاج إلى استكمال خارج عن دائرة البحث والذي يشوبه النقص ويسير نحو التكامل هو القسم الاول والثاني. والقسم الثاني بدوره يتفرع إلى فرعين فالبعض يمكنه الاكتمال دون العلل والعوامل الخارجية ويصطلح عليه بالمستكفي وبعبارة أخرى ان هذه الموجودات مكتفية ذاتيا ويمكنها اكمال نفسها خلافا للقسم الاول الذي يعاني من النقص ويتعذر عليه معالجة معالجة حاجته ونقصه كالنباتات والحيوانات التي ليست مكتفية ذاتيا ولا يمكن لهذا القسم من الموجودات ان تبلغ كمالها دون معلم خارجي. الانسان ايضا من الموجودات الناقصه «القسم الأول» الذي لا يمكنه بمفرده تحصيل العلوم والمعارف التي يفتقر اليها فهو بحاجة إلى معلم ومزكي ليعلمه ويزكيه ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[1]. والواقع ان

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٢.

هذا الانسان وهو «**خليفة الله**» و«**الانسان الكامل**» يستلهم الدين من جانب الله تبارك وتعالى من جانب الله تبارك وتعالى بصفته هدية الهية ويبلغه المجتمع البشري ليبلغ بها الكمال من خلال ذلك الطريق الذي بلغ به الله كماله وعلى ضوء هذا الاصل فان علاقة الانسان الكامل بسائر بني الانسان كلية كما وصفها امير المؤمنين اذ قال «فانا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا»(١). أي ان الله سبحانه تكفل بتعليمهم وتربيتهم دون واسطة وهم تكفلوا بتعليم وتربية سائر الناس. وسبب حاجة الناس إلى ارشاد الانسان الكامل كون البشر العادي لا يمتلك قابلية الاحاطة بجميع العلوم كما لا تتوفر لديه الفرصه لتعلمها بالتدريج ليتعرف على جميع الحقائق ومن هنا فهو يهرب من كثير من الخيرات لعدم علمه بخيريتها وينزع إلى كثير من الشرور لجهلة بشريرتها وهذا الهروب والنزوع كاذب كما صرح بذلك القران الكريم ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٢)وحيث لا يعلم الانسان اغلب الخيرات والشرور والله يعلمها كان على الانسان ان يؤمن بالغيب فيتقبل تلك الحقائق من خلال ايمانه بالمبدأ من قبيل ما قاله تعالى بشان مسائل الميراث ومطالبة الانسان بالتسليم للغيب كونه لا يعلم أي من الورثة سيعمل لصالحه في المستقبل ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾(٣).وبناءا على ما تقدم لما كان الانسان منطويا على العديد من النقائص ولا يسعه ازالتها لابد له من الايمان والاعتماد على المعلم الغيبي العالم بنقائص الانسان ومتطلباته ليزيل ذلك المعلم نقائصه ويلبي حاجاته إلى العلم والمعرفة ويهذب اخلاقه وسلوكه ويسوقه إلى السمو والكمال المنشود.

---

(١) نهج البلاغة: الرسالة ٢٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١.

❖ انواع علاقات الانسان

للانسان اربعة انواع من العلاقات في عالم الوجود:

١ ـ علاقته مع نفسه.

٢ ـ علاقته مع الله.

٣ ـ علاقته مع الطبيعة.

٤ ـ علاقته مع الاخرين «ابناء جنسه». ولابد للانسان في علاقته بنفسه من معرفة ذاته وتهذيب نفسه. وفي علاقته بالله اولا: ان يعرفه ويؤمن من خلال معرفته بوجوده وصفاته واسماؤه الحسنى وثانيا: يعبده ويطيعه هو لا غير. واما بشان علاقته بعالم الوجود والطبيعة فلابد ان يقف على كيفية ارتباط عالم الوجود بالله وان يفهم كيف ينبغي له ان يتعامل مع الطبيعة وعالم الوجود ليحصل التعامل المتبادل كما ينبغي ان يعلم بخصوص علاقته ببني جنسه ان الانسان موجود اجتماعي وان حقوقا وواجبات معينة تترتب على الحياة الاجتماعية وعلى الانسان ان يراعيها انطلاقا من مسؤوليته ليمهد السبيل امام تحقق العدالة الاجتماعية.

❖ انواع علاقات الانسان من وجهة نظر القران

الرؤية القرانية قائمة على اساس ان للانسان علاقات مختلفة ينبغي ان تنظم على هدي التعاليم السماوية.

١ ـ علاقة الانسان بنفسه

لابد ان تتبلور علاقة الانسان بنفسه على ضوء معرفته لمكانته الحقيقية. فهو يجب ان يعلم انه خليفة الله في الارض من جانب ولديه قابلية علمية واسعة وانه امين الله ويتمتع بفطرة منفتحة على معرفة الله، ومن جانب اخر هو موجود ظلوم وجهول وقتور وعجول وهلوع وجزوع ومنوع و... وقد مدح الله تبارك وتعالى

الانسان في بعض اياته مثل ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1]. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ﴾[2]. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[3]. ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ ..﴾[4]. وسائر الايات القرانية التي تتضمن تكريم الانسان ورفعة مكانته الوجودية. وبالمقابل هنالك الايات التي ذم فيها الله تعالى الانسان من قبيل ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[5]. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾[6]. ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[7]. ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[8]. وسائر الايات التي تضمنت ذم الانسان. طبعا لابد من الالتفات اجمالا إلى ان جميع فضائل الانسان وكمالاته انما تتعلق بفطرته بينما تعزى جميع رذائله إلى طبيعته. فاذا ما تامل الانسان مكانته في نظام الوجود وتعرف على طبيعته وفطرته علم انه عبد الله وامينه وان اعضائه وجوارحه جنود الله وكامنه له بالمرصاد. قال امير المؤمنين عليه السلام **«اعلموا عباد الله ان عليكم رصدا من انفسكم وعيونا من جوارحكم وحفاظ صدق يحفظون اعمالكم وعدد انفاسكم»**[9]. كما قال بشان علم الله بالنسبة للانسان وجوارحه **«ان الله سبحانه وتعالى لايخفى عليه ما العباد مقترفون في ليلهم ونهارهم لطف بهم خيرا واحاط به علما اعضاؤكم شهوده وجوارحكم**

---

(١) سورة الاسراء، الآية: ٧٠.
(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠.
(٣) سورة الشمس، الآية: ٧-٨.
(٤) سورة الاحزاب، الآية: ٧٢.
(٥) سورة الاحزاب، الآية: ٧٢.
(٦) سورة المعارج، الآية: ١٩-٢١.
(٧) سورة الكهف، الآية: ٥٤.
(٨) سورة النساء، الآية: ٢٨.
(٩) نهج البلاغة: الخطبة ١٥٧.

جنوده وضمائركم عيونه وخلواتكم عيانه»[١]. والذي يستفاد من هذه الكلمات ان اعضاء الانسان وجوارحه جند الله فلا يظن احد انه يمكنه كل ما اراد بل ينبغي ان يعلم الجميع انهم ان حادوا عن الصواب سيفتضحون وتشهد عليهم ايديهم وعيونهم. والخلاصة لابد ان تنظم علاقة الانسان بنفسه على اساس معرفة حقيقته وابعاده الوجودية واستعداداته وحاجياته والالتفات إلى الهدف من خلقه وخلوده وابديته.

٢ ـ علاقة الانسان بالله

ان علاقة الانسان بالله اسمى من علاقة المقهور بالقاهر او المحكوم بالحاكم العادل بل رابطة العارف والمعروف والمحب والمحبوب التي تفوق رابطة القاهر والمقهور او الحاكم العادل والمحكوم. قال الله تعالى للانسان: انا معروفك ومحبوبك فاياك ان تبغض محبوبك وتجهل معروفك. قال الامام الصادق عليه السلام في وصف الله تعالى «**معروف عند كل جاهل**»[٢]. فلا موجود في العالم لايعرف الله وان اخطأ في تطبيق معروفه الفطري على المصداق. فلم يخلق الله تعالى وجودا دون معرفة ومحبة، وابعد من ذلك اختطلت روح الانسان بالحب والمعرفة. قال تعالى بشان المعرفة ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[٣]. وقال في المحبة ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾[٤]. فان كان الدين محببا للانسان فان مبدا انشاء الدين ورسالة الدين ومقرراته وقوانينه محبوبة جميعا للانسان، وبعبارة أخرى الله ودينه معروف للانسان ومحبوبه، والمعرفة تؤمن الادراك والمحبة العشق وبما ان علاقة الانسان بالله علاقة العارف والمعروف وعلاقة المحب والمحبوب، فان عصاه عاص يمهله الله بادئ الامر ويفتح له باب

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٩.
(٢) اصول الكافي: ج١ص٩١ج٢.
(٣) سورة الشمس، الآية: ٧-٨.
(٤) سورة الحجرات، الآية: ٧.

التوبة والانابة ليستفد من ذلك الامهال فيعود إلى الله، والا فليستعد لحربه كما ورد بشان المرابين ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[١]. وبالطبع فان من يحارب الله يذيقه الله اليم العذاب افعاله ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[٢]. ورغم ان الله جعل الارض ذلولا ليتمكن الانسان من المعيشة فيها وممارسة حياته، الا ان هذه الارض تضيق عليه ان حاد عن الطريق. على سبيل المثال حين طغى قارون وتصدى لكليم الله موسى عليه السلام اخذه الله وخسف به وبداره الارض ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾[٣].

٣ ـ علاقة الانسان بالطبيعة

علاقة الانسان بالطبيعة علاقة تسخيرية وليست علاقة «**قهر وقسر**». ولتوضيح المطلب لابد بادئ الامر من تعريف التسخير من جانب والقسر والقهر من جانب اخر ومن ثم ببيان الفرق بينهما. ان االقسر والقهر ضغط مفروض من الخارج و«**الفاعل بالقسر**» من يصدر فعله بالضغط وفرض المبدا الخارجي. بعبارة أخرى الفاعل بالقسر هو الفاعل الذي يصدر فعله دون علم واختيار وخلافا لمقتضى طبيعته. اما التسخير فحين يكون الفعل منسجما مع طبع الفاعل، وان الفاعل المفروض انما خلق للقيام بذلك الفعل. ويقال الفاعل بالتسخير لمن يعمل تحت تسخير مبدا اخر، بحيث يوجه ذلك المبدا الفاعل المسخر لئن ينتفع منه باحسن نحو. والله تبارك وتعالى يعتبر علاقة الانسان بعالم الخليقة علاقة تسخيرية ويقول لكل موجود من الموجودات اثاره وخصائصه المميزه له والمختصه به، ولو تعرف الانسلن على تلك الخاصية ونظمها ووجهها بصورة صحيحة فقد سخر في الواقع

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٩.
(٢) سورة ال عمران، الآية: ١٧٨.
(٣) سورة القصص، الآية: ٨١.

ذلك الموجود طبعا المسخر الاصلي وبالذات هو الله الذي ذلل عالم الطبيعة وسخره للانسان ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾(١). ووجودات عالم الطبيعة المسخرة من قبل الله تبارك وتعالى تعيش ازائه حالة التسليم والسجود والتسبيح ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(٢). بل كل مافي هذا النظام مستسلم مسلم لله ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾(٣). ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾(٤). ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾(٥). والله الذي خلق الانسان وخلق السماء والارض امر هذا النظام بتبعية الانسان الكامل أي ان هذا النظام مسخر للانسان السالك سبيل الحق والعبد الصالح الامين، الذي ادرك خطورة الامانة فحملها ولم يخنها اما ان خان الانسان هذه الامانة فان هذا النظام الكوني لا يابى طاعته فحسب بل سيكون اعظم منه قيمة. ومن هنا ان انحرف هذا الانسان عن الطريق وضل السبيل فسيعادية هذا النظام ويقذف به في وادي الموت، وسيبتلع هذا الماء احيانا ذلك الانسان الفاسد كما قال تعالى بشان فرعون ورهطه ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾(٦). ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾(٧). واحيانا أخرى سيخر هذا الماء للانسان ليكون وسيلة للحياة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾(٨). وتارة تسلط عليهم الرياح فتهلكهم ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾(٩). وعليه فعلاقة الانسان بالطبيعة علاقى تسخيرية ان نال قيمته

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٠.
(٢) سورة ال عمران، الآية: ٨٣.
(٣) سورة الجمعة، الآية: ١.
(٤) سورة النحل، الآية: ٤٩.
(٥) سورة فصلت، الآية: ١١.
(٦) سورة طه، الآية: ٧٨.
(٧) سورة الذاريات، الآية: ٤٠.
(٨) سورة الانبياء، الآية: ٧.
(٩) سورة الحاقة، الآية: ٧.

الوجودية وحمل الامانة بصدق انذاك يسخر له كل ما في الكون وان خان الامانة وضل الطريق واجهته كل ظواهر عالم الوجود ذلك انها مطيعة لله ومنقادة لارادته وتعمل بامره.

٤ ـ علاقة الانسان بالاخرين

تتنوع علاقات الناس مع بعضهم تبعا لتنوعهم وعلى المسلم ان يرسي علاقة الاخوة مع سائر المسلمين ذلك لان المسلمني جميعا ابناء مدرسة واحدة وان النبي ﷺ وعلي عليه السلام ابوا هذه الامة «**انا وعلي ابوا هذه الامة**»[(١)]. كما نعت القران المسلمين بالاخوة ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[(٢)]. كونهم ابناء مدرسة واحدة هي مدرسة القران وسنة المعصومين عليهم السلام. وسوف لن يكون سلوك ابن القران والعترة سوى الايثار والاحسان ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[(٣)]. كما ينبغي ان تكون للانسان المسلم علاقة تقوم على اساس القسط والعدل تجاه الانسان غير المسلم ولكنه ملتزم بالمبادئ الانسانية ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[(٤)]. وعلى ضوء هذه الاية الشريفة خاطب امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام مالك الاشتر في عهده الذي عهده إليه حين ولاه مصرا قائلاً «**واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم اكلهم فانهم صنفان اما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق**»[(٥)]. فالامام عليه السلام يوصيه بالعدالة في التعامل مع الكفار. واما بالنسبة لعلاقة المسلم بالكافر الذي لايراعي العدالة ويتجاوز على

---

(١) بحار الانوار: ج١٦ص٩٥.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٠.
(٣) سورة الحشر، الآية: ٩.
(٤) سورة الممتحنة، الآية: ٨.
(٥) نهج البلاغة: الرسالة ٥٣.

الحقوق الانسانية ويعتدي على المسلمين فيمكن ان تستند إلى التعامل بالمثل بغية تاديبه وردعه عن سوء فعاله ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[1]. ولو ارعوا هؤلاء الكفار واعتذروا كان عليه ان يقبل عذرهم ولا يفكر في الثار منهم. وبناءا على ما تقدم فالانسان المسلم لابد ان يبني علاقته مع المسلم الاخر على اساس العدل ورعاية الحقوق الاسلامية طبعا رعاية العدالة تمثل الحد الادنى من الوظيفة، ولو اراد هذا الانسان ان يشق طريقه نحو السمو والكمال ولقاء الله كان عليه ان يعتمد ما يفوق العدل والذي يتمثل بالاحسان والايثار كما ينبغي عليه ان ينظم علاقته على اساس العدل والقسط تجاه الكافر المقيد بالاصول الانسانية واخيرا لا ينبغي ان يتخلى عن هذه العدالة حتى تجاه الكافر المهاجم.ولعل هذه الامور تفصح عن حقيقة في ان رابطة الانسان المسلم بالكافر لابد ان تتبلور بحيث تهدف إلى القضاء على العداوة أي لا ينبغي ان يكون هناك افراط في العداء فربما ياتي اليوم الذي يحل فيه الصلح والسلام ويحيل الله تلك العداوة محبة. وقد اوصى الله تعالى المسلمين باعتماد هذا النمط من التعامل بغية ازالة العداء، فحث على عدم ابداء رد الفعل السلبي تجاه المسلم الاخر الذي يسيء، بل لا بد من السعي الجاد للقضاء على تلك الاساءة فاذا مازالت تلك الاساءة وما يرافقها من شحناء وبغضاء تحول العداء إلى ود والعدو إلى صديق ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[2]. نعم هنالك الايات القرانية التي امرت المسلمين بالتشدد على الكافرين ومعاملتهم بقوة ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾[3]. ﴿وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[4]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٤.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٤.
(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٣.
(٥) سورة التوبة، الآية: ٧٣ وسورة التحريم، الآية: ٩.

﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾[(١)]. الا ان هذا التشدد والقوة كون القضية تتعلق بالدين «حق الله» ولا ينبغي المساومة في القضايا الدينية. وليس للانسان سوى التنازل عن حقه الشخصي. ومن هنا جاء الخطاب لموسى الكليم وهارون عليهما السلام ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي﴾[(٢)]. والالتفات إلى مقام الانسان ومكانته في عالم الوجود ابدي وخالد ينطوي وابعاده الوجودية يوضح ان الانسان موجود ابدي وخالد ينطوي على جوانب تتجاوز حدود الطبيعة بالاضافة إلى حيثية الطبيعية والعقلانية كما تتضح دائرة انتظار البشر من الدين من خلال تامل ودراسة جميع علاقاته وارتباطاته فالدين لابد ان يركز على جميع الامور المذكورة ويلبي حاجات الانسان ومتطلباته وينظم علاقاته كما ينبغي للانسان ان ينشد طلباته الصادقة في الدين دون رغباته وتطلعاته الكاذبة والباطلة ورغم ان غاية انتظار وتمني الانسان السالك الصالح لقاء الله وغاية مناه وأماله الله تبارك وتعالى، الا ان الدين يجب ان يلبي سائر انتظارات الانسان الصادقة ليتمكن على ضوء تلك الانتظارات من بلوغ هدفه النهائي.

❖ فلسفة خلق الشيطان

بالنظر إلى مبحث انتظار البشر من الدين وان الله لايريد للانسان سوى الخير والرحمة، فلعل هنالك من يسال: ترى ما سر خلق الله سبحانه وتعالى الشيطان الذي يمهد السبيل لضلال الانسان والله هو الذي تكفل بتزكيته وتعليمه وتربيته وهداه بدينه إلى السمو والكمال؟ لم خلق هذا الموجود الشرير وخلق المعصية والعاصي؟ والخلاصة ان خلق الله الانسان بكل هذه المحبة والمعرفة ليكون عالما عادلا فلم جعل امامه كل قطاع الطرق الاشرار؟ ان هذا السؤال جواب اجمالي واخر تفصيلي والجواب الاجمالي هو ان الله خلق هذه الامور ليكون الانسان عالما

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢.

(٢) سورة طة، الآية: ٤٢.

عادلا، بعبارة أخرى ان فلسفة خلق الشيطان ووجود الشرور عالمية وعدالة الانسان. ولو كان الانسان ذو بعد واحد كالملك وان لكل انسان مقام معلوم معين ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[1]. ولم تكن لديه غريزة الغضب والشهوة بحيث لا يعصي الله ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[2]. لما كان له من سبيل إلى الرقي والسمو، وبالنتيجة سوف لن تكون هناك شريعة ورسالة ونبوة ليحصل في ظلها التكامل لان الشريعة والدين هدفها الانسان والانبياء والمرسلين انما يبعثون من اجل المجتمع البشري. وبالتالي لو كان الناس ملائكة لاودعت هذه المعارف والحقائق بوتقة النسيان وهذا خلاف المطلوب. فالانسان موجود يمكنه ارتكاب المعصية لا انه ينبغي ان يرتكب المعصية. ومن هنا ينبغي ان يزود هذا الانسان بوسائل المعصية أي الغضب والشهوة. من جانب اخر فان الغضب والشهوة بحاجة إلى محرك ذلك لان الغضب والشهوة لا تدعو الانسان إلى المعصية بل تدعوه إلى اطفاء الغريزة وهنالك سبيل مشروع وحلال لاطفاء الغريزة وسبيل لا مشروع وحرام والذي يسوق الانسان باتجاه الحرام والفساد والمعصية هو الشيطان. وتتضح مما سبق عدة امور هي:

١ ـ لو كان الانسان موجود لا يعصي وكالملك لما تحققت قضية الدين والشريعة والنبوة والرسالة بالنسبة للمجتمع البشري ولو لم تتحقق هذه الامور لما حصلت الكثير من الخيرات التي تاتي من خلال هذا الطريق.

٢ ـ الفارق بين الانسان والملك ان للملك حد معين «**يحاوزه**» بينما ليس هنالك من حد معين للانسان بل يمكنه ان يبلغ مقام الولاية المطلقة والتامة.

٣ ـ ان كان للانسان شهوة وغضب فهي وسائل المعصية وليست مبداها الفاعلي.

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٦٤.

٤ ـ وسائل المعصية ليست موجودة في عالم التجرد المحض والعقلي وان عصى الشيطان كونه يمتلك التجرد الخيالي والوهمي لا التجرد العقلي الذي يمثل الحضور والشهود المحض.

٥ ـ نشاط الشيطان مجرد الدعوة إلى المعصية وليس الاجبار على المعصية لان العقل يدعو الانسان للخير لتتعدل طاقاته العلمية والعملية ويرد على متطلباتها بالايجاب إلى جانب الانبياء الذين يهدون الانسان ويسوقون قواه النظرية والعملية بالاتجاه الصحيح والمشروع. وبعبارة أخرى فان الاثار المترتبة على فعل الخير كثيرة والله يضاعف ثواب الخير ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾(١). هذا من جانب ومن جانب اخر فان لفعل الخير عدة مبادئ فاعليه فالعقل من الداخل والانبياء والملائكة من الخارج يدعون الانسان إلى الفضيلة على العكس من فعل الشر الذي تكون اثاره شبيهه له وليست اكثر منه كما ليس له العديد من المبادئ الفاعلية ذلك لان الشيطان فقط من يدعو الانسان إلى الرذيلة. وعليه فالانسان يسعه بالاستفادة من مبادئ الخير للوقوف بوجه دعوة الشيطان. النفس الامارة هي الاخرى ليست العامل المباشر للمعصية بل تنساق هذا النفس إلى الشيطان وتامر الانسان بالاثم حين لا تصغي لنداء العقل ورسالة الوحي. والفطرة الانسانية ليست مبدا فاعليا للمعصية فالفطرة تنزع نحو التوحيد وقد الهمت الفجور والتقوى وعلى هذا الاساس قال الشيطان ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ﴾(٢). ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾(٣). فوجود الشيطان بصيغة وسوسة لايعد امرا سيئا بل امرا مطلوبا فلولا الوسوسة لما كان هناك جهاد اكبر ولولا الجهاد الاكبر لما كان هناك من نزوع للولاية فالشخص الذي ينال مقام الولاية ويصبح من «**اولياء الله**» ذاك الذي يواجه

---

(١) سورة الانعام، الآية: ١٦٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ١١٩.
(٣) سورة الحجر، الآية: ٣٩.

الشيطان ويتغلب عليه ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[١]. وعليه فان سوء الشيطان نسبي وليس نفسي والشيطان خلق بعد الملك ولا يناظره فهو ليس بعقل ووحي في حد التجرد بل وهم وخيال وحيث كان في حد الوهم والخيال خاطبه تعالى ان ليس لك من سلطان على المخلصين وسلطانك يقتصر على خاصة اتباعك ممن اضللت. من جانبه سيقول الشيطان لاتباعه يوم القيامة «**فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي**»[٢]. ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ﴾[٣]. اضف إلى ذلك فقد عرفنا ديننا بالسلاح الذي نواجه به الشيطان والذي يتمثل بالدعاء «**الدعاء سلاح المؤمن**»[٤]. والبكاء «**وسلاحه البكاء**»[٥]. فالانسان المتواضع صاحب الدمعة والبكاء يمكنه غلبة الشيطان حيث لاسبيل للشيطان إلى المخلصين ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾[٦]. ونخلص مما سبق إلى ان الجواب الاجمالي للسؤال عن سر خلق الشيطان كونه خيرا ورحمة للانسان وللانسان ان واجه الشيطان ان يبلغ مقام الولاية ويعرج إلى ارقى المراتب «**خطاه مد البصر**».

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.
(٢) بحار الانوار: ج٩١ ص٢٣٩.
(٣) سورة ابراهيم، الآية: ٢٢.
(٤) الكافي: ج٢ص٤٦٨.
(٥) دعاء كميل.
(٦) سورة الحجر، الآية: ٤٠.

الفصل الرابع:

تبيين انتظار البشر من الدين
عن طريق معرفة مصادر الدين

إحدى طرق تبيين انتظار البشر من الدين معرفة مصادر الدين ذلك اننا ان لم نعلم المصادر التي ينبغي اخذ الدين منها تعذر علينا بيان الانتظار من الدين بصورة صحيحة وبعبارة أخرى البحث في الدين بغية كشف انتظار البشر من الدين يستند إلى معرفة مصدر الدين.

❖ مصدر ثبوت واثبات الدين

❖ مصدر الدين قسمان: مصدر ثبوتي ومصدر اثباتي

وارادة الله تعالى فقط هي المصدر الثبوتي للدين والاحكام الشرعية فارادة الله التشريعية هي المصدر الوحيد لنشاة الدين. اما مصدر اثبات الدين الذي تكشف به تلك الارادة التشريعية فهو اربع: الكتاب والسنة والاجماع والعقل والتي تعود جميعا إلى مصدرين لان الاجماع ذاتا ليس مصدرا اثباتيا مستقلا أي ان مجرد اتفاق العلماء على شيء لا يعني كونه حقا وكاشفا عن الحكم الشرعي بل حجية الاجماع من باب كونه كاشفا عن السنة ورضى او امضاء المعصوم. وعليه فالاجماع كيفما يقرر ـ بالحدس او اللطف وامثال ذلك ـ انما يعود إلى السنة، وتعود السنة إلى الوحي التشريعي الذي نزل على قلب النبي ﷺ وظهر منه على الائمة عليهم السلام وبالنتيجة يعود القران والسنة إلى الوحي التشريعي الا ان القران وحي اصيل والسنة الهامات علمها الله النبي ﷺ وعلمها النبي ﷺ الائمة عليهم السلام. اما البرهان العقلي الواحد لنصاب الحجية فذاك المنزه من افة التمثيل المنطقي **«القياس الفقهي»**

والسليم من شطط الاستقراء الناقص فمثل هذا العقل احد المصادر الاثباتية لارادة الله التشريعية اذا فمصدر الدين عبارة عن العقل والوحي. ونكشف من تاملنا للعقل والوحي انهما ليسا غريبين عن بعضهما فالوحي رسالة ربانية بصيغة خاصة والعقل هاتف الغيب فهو ليس مباين لكلام الله والوحي ذلك ان الله تعالى بحكم الاية ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[1]. وبحكم الميثاق ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[2]. الهم الانسان مسائل الحكمة النظرية وكذلك مسائل الحكمة العملية واستودعه اياها كما بعث الانبياء ليشيروا لديهم هذه الكنوز الالهية **«ويشيروا لهم دفائن العقول»**[3]. وعليه فالعقل شعبة من الالهام الالهي المستتر التي اودعها الله في فطرة الانسان. اذا فالعقل بالخصائص الذمكورة هاتف غيبي واستنادا لما سبق فالمصدر الوحيد للدين في الواقع الوحي والالهام الالهي.

تنبيه لا ينبغي حصر مصادر الدين بالدليل النقلي وظواهر الالفاظ والكلمات بل لابد من اعتبار الدليل العقلي احد مصادر الدين المنيعة والغنية كما ان الدليل النقلي ـ القران وسنة المعصومين عليهم السلام ـ احد ادلة الدين القوية والغنية. ولو لم يعتبر العقل احد مصادر الدين لا نبغى اخراج الكثير من المعارف والامور الدينية والتي تعد جزءا من الدين والتي اثبتت من خلال الدليل العقلي ـ لا الدليل النقلي ـ من دائرة الدين والاهم من ذلك ان لم يعتبر العقل من مصادر الدين الاثباتية فلا يسقط احد مصادر الدين المنيعة والغنية فحسب بل لم يعمل في الواقع بذات القران والروايات ذلك لان القران يعتبر الدليل العقلي مدار العديد من الاحكام كما ذهبت الروايات إلى ان الدليل العقلي مصدر كثير من الاحكام **«ان لله على الناس حجتين حجة ظاهرة وحجة باطنة فاما الظاهرة فالرسل والانبياء والائمة واما الباطنة**

---

(١) سورة الشمس، الآية: ٧-٨.
(٢) سورة الاعراف، الآية: ١٧٢.
(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١.

فالعقول». فمن جعل العقل في مقابل الدين لم يؤد في الواقع حق العقل ولم يعط النقل حظه وسهمه. قال ابن السكيت للامام الرضا عليه السلام **«تالله ما رايت مثلك قط فما الحجة على الخلق اليوم قال فقال العقل يعرف به الصادق على الله فيصدقه والكاذب على الله فيكذبه». وكلام ابن السكيت لا يجاوز كلام سائر العلماء من حيث الاعتبار، لكن حيث قال هذا الكلام عند حجة الله أي الامام الرضا عليه السلام** واقترن بتقريره عليه السلام فانه يمكن الاستدلال به ذلك لان حجة الله لم يردعه. وعليه يتضح ان العقل من المصادر القوية لاثبات الاحكام الشرعية. وبالنظر إلى ان العقل والنقل مصدران اساسيان للدين نخوض هنا في كل منهما بصورة مستقلة.

أ ـ تبيان كيفية مصدرية العقل

احيانا يعني العقل ـ الذي يعد من المصادر الغنية للدين ـ انه مصباح وسراج يدرك جيدا المسائل الدينية أي يتمعن الايات والروايات ويكيفها مع بعضها. واحيانا أخرى يكون العقل بذاته مصدرا دينيا مستقلا بعبارة أخرى للعقل احيانا رسالة مستقلة واخرى يمضي مطلبا ولا يعترض عليه من خلال السكوت او لسان المقال. والعقل يفتي حين الاستقلال في الاستدلال لانه يفهم مضمون القران او الروايات وانه مصدر ديني في «**المستقلات العقلية**» كما يصطلح عليه «**الاصولين**» ومن هنا ان كان للعقل احكام في موارد معينة واورد النقل مطالبا في تلك الموارد فان النقل مؤيد للعقل وحكمه امضاء لحكم العقل.

❖ العلاقة المتبادلة بين العقل والفطرة والشريعة

يمكن تصور ثلاث حالات للعلاقة المتبادلة بين العقل والفطرة والريعة وسنبين بادئ الامر علاقة العقل بالشريعة:

١ ـ ان العقل ميزان حق الشريعة وبطلانها وصدقها وكذبها أي ان قالت الشريعة شيئاً ولم ينسجم مع العقل وتعذر عليه ادراكه فانه يفتي ببطلانه. الا ان هذا

التصوير للعقل على انه ميزان الشريعة لايبدو سديدا ذلك لان نفس العقل يدرك قصوره ويعترف انه لا يفهم الكثير من قضايا العالم والانسان واسراره ويلتمس المرشد وهذا المرشد لابد ان يكون معصوما. فاذا ما وقف العقل على هذا العجز العلمي واذعن لقصوره المعرفي فسوف لن يسعه نقد النقل في الامور التعبدية، طبعا المراد به النقل الوارد عن المعصوم والا فالعقل لايسلم للنقل الذي لايجلب اليقين أي ليس له سند يقيني او دلالة واضحة سوى بعض الامور التعبدية التي يفتي فيها العقل نفسه بالاكتفاء بظنون معينة.

٢ ـ العقل مفتاح الشريعة وعملية هذا المفتاح تقتصر على الخارج حيث يفتح باب الشريعة بوجه الباحث عن الدين ويسوقه إلى خزائنها فاذا ما دخل انتهت عمليته.

٣ ـ العقل مصباح الشريعة أي العقل مصباح يشخص الامور انها جزء من الشريعة او خارجة عنها والامور التي تعد من اصول الشريعة والاخرى التي تعد من فروعها وايها تنسجم مع الشريعة وتلك التي لا تنسجم. وبالتالي فالعقل مصباح حسن في تشخيص صحة وسقم ومنفعة وضرر امور الشريعة.

زكما ان علاقة العقل بالشريعة بثلاثة انحاء كذلك علاقة الشريعة بالعقل والفطرة هي:

١ ـ ان الشريعة ميزان بالنسبة للعقل والفطرة أي لابد ان نقيم كل مطلب اصيل بميزان النقل وان لم نظفر مثلا بقضايا فطرية او «**فطرية القياس**» في الشريعة نقول انها ليست معتبرة[1].مثلا لو لم نعثر في الشريعة على «**استحالة اجتماع النقيضين**» او «**ثبوت الشيء لنفسه ضروري**» او «**استحالة تخلف المعلول عن علته التامة او انفكاك العلة التامة عن المعلول**» نقول ليس لهذه الامور قيمة علمية.بعبارة

---

(١) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون: ج٢ص١٢٧٩ الاشارات والتنبيهات: ج١ص٢١٤.

أخرى ليست هنالك قيمة فنية للقضايا الفطرية او فطرية القياس ان لم توجد في ميزان الشريعة طبعاهذا الكلام ليس صحيحا ذلك ان الملاك في مثل هذه القضايا عدم مخالفتها للنقل والشريعة أي ان مخالفتها للشريعة مانعة لاان موافقتها للشريعة شريط من قبيل ما يقال في علاقة الروايات بالقران من ان مخالفة السنة للكتاب مانع من حجية السنة لاان موافقتها للقران شرط، ذلك لان حجيتها تثبت بتقرير المعصوم وامضائه العملي. وعليه فالشرع والنقل ليس ميزان العقل والفطرة. ومن جانب اخر ان ثبت اصل ضرورة النقل أي الشريعة بواسطة مبادئ العقل الاولية كيف يمكن ان يقال بان الدليل النقلي ميزان حق وبطلان وصدق وكذب.

❖ القضايا العقلية؟!

٢ ـ الشريعة مفتاح العقل والفطرة. وهذا المطلب هو الاخر ليس بصحيح والدليل على عدم صحته ما ذكر بشان عدم صحة كون العقل مفتاحا للشريعة والذي اشرنا إليه سابقا.

٣ ـ الشريعة مصباح الفطرة والعقل ذلك لان الانسان ربما يخلط هذه الفطرة بعادة وطبيعة وغريزة وسنة وحاجة معينة فتخطئ بالنتيجة. ومن هنا فلابد من مصباح ليميز الفطرة عن سائر الامور إلى جانب ان يعمل الانسان على ضوء الفطرة والعقل.

وبناءا على ما قيل لحد الان يتضح ان العقل والدين ليسا مقابل احدهما الاخر بل العقل والنقل نظيران وكلاهما مصدر اثبات الدين. وللعقل رسالته المستقلة في المستقلات العقلية وقضايا العلوم المتعارفة سواء في الحكمة النظرية او الحكمة العملية وللنقل ايضا رسالته الخاصة. وعلى هذا الاساس يبين الدين بلسان العقل تارة ولسان النقل تارة أخرى طبعا يحتاج العقل في كثير من الفروع الجزئية إلى الدليل النقلي المعتبر.

❖ تقييم المدارس في تبيان انتظار البشر من الدين

ان الافراد الذين درسوا الدين وخاضوا في معرفته وانتظار الانسان من الدين وتوقع الدين من الانسان هم اربع طوائف نجح البعض منها بهذا الخصوص وفشل البعض الاخر.

الطائفة الاولى: الافراد المسلحون بالعقل والبرهان العقلي وهم اولئك الذي تصفحوا ورق العمل وتعرفوا بالبراهين العقلية على الله والمعاد وضرورة بعثة الانبياء وادركوا ان للعالم اله له الاسماء الحسنى والصفات العليا أي انه حكيم وهادي وعادل و. .. وادركوا ان المعاد حق والقيامة والجنة والنار حق وتناولوا الوحي والنبوة والرسالة في «**علم النفس**» وفي مبحث معرفة الله، وخاضوا في مباحثهم في صفات الله وتواصلوا في مباحثهم في علم النفس ان الانسان يستطيع بلوغ ذروة السمو والكمال بحيث يشهد الحقائق ويستلهم الوحي، كما تواصلوا في مباحث معرفة الله ومعرفة اسماؤه الحسنى وصفاته ان الله يهدي الانسان بمقتضى حكمته وعدالته ورحمته ثم خلصوا إلى هذه النتيجة في ان الله لا يترك الانسان قط دون دليل وادلة الله هم الانبياء وكتبهم السماوية الوحي الالهي الذي يصطلح عليه بالدين والذي يدين به الناس. وقد وفقت هذه الطائفة تقريبا في معرفة الدين وانتظار الانسان من الدين وانتظار الدين من الانسان.

الطائفة الثانية: الافراد الذين استعانوا نوعا ما بالادلة العقلية غير ان جل تركيزهم كان على الادلة النقلية والايات القرانية وروايات المعصومين عليهم السلام وقد وفقوا تقريبا في هذا المجال.

الطائفة الثالثة: الافراد الضعفاء في المباحث العقلية والمباحث النقلية فلا يستطيعون دراسة الايات والروايات الماثورة كما ينبغي ولا يستطيعون تحرير وتبيين الادلة العقلية. فهؤلاء الافراد يفتقرون إلى السلاح العقلي كما يفتقرون إلى سلاح النقل بالتالي لا يسعهم بيان انتظار الانسان من الدين او انتظار الدين من الانسان

ولا يعطون البحث حقه. بعبارة أخرى لا يقدر على بيان انتظار الدين من الانسان من لم يتعمق في المباحث العقلية ولم يتنعم بالمباحث النقلية. ومن هنا يبدون احيانا بعض الاراء الخاطئة. فهؤلاء يقولون: فلسفة الدين اساسا الله والاخرة والاخلاق ولا علاقة له بالسياسة والحكومة ومعيشة الناس وان قيل لهؤلاء لماذا اقام الانبياء الحكومة او لماذا جاهدوا وقتلوا في سبيل العدالة وتحرير الناس او لماذا قاد نبي الاسلام ﷺ تلك الحروب التي فرضت عليه وشكل الحكومة؟ لاجابوا: ليس لهذه الامور من علاقة بالدين ولم يمارس الانبياء هذه الانشطة طبق اوامر الله بل حيث كانوا اناسا احرارا قاموا بذلك وقد غفلوا ما حفل به الوحي والشريعة من تعاليم الدفاع والجهاد والقضاء في مسائل الناس الحقوقية.

الطائفة الرابعة: الافراد الذين يتمتعون بالبراهين العقلية وباعلى مستوياتها ولهم نظرة ثاقبة وبصيرة في النقل فهم جامعون للمعقول والمنقول. فلهذه الطائفة ميزان في المباحث العقلية ذلكم هو العقل لان العقل ميزان في المعارف العقلية كما لديهم مصباح في المباحث النقلية فالعقل مصباح في المعارف النقلية. وهذه الطائفة اعظم نجاحا من سابقتيها فهي تعرف ماذا يعني انتظار البشر من الدين وانتظار الدين من البشر فهنالك فارق بين هذين الانتظارين فانتظار الانسان من الدين يعني طلبه منه فالمريض ينتظر من الطبيب ويطلب منه التعرف على مرضه والسبيل إلى معالجته وازالة المرض عنه عن طريق ارشاده إلى كيفية معالجته، اما انتظار الدين من الانسان فيعني الاقتضاء والامر فالدين رسالة الخالق فهو يامر والانسان ينبغي ان ياتمر ويمتثل لا ان يطلب الله من الانسان ذلك ان يكفر كل من في الارض فلا يضر الله شيئاً ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[1]. وعليه فالاقتضاء والامر هو مفهوم انتظار الدين من الانسان كما ان الطب والطبيب لا ينتظر من المريض سوى الامتثال والعمل بالوصفة. والباحث الديني الواقعي الذي

(١) سورة ابراهيم، الآية: ٨.

يتمتع بالعقل والقادر على دراسة النقل فاذا طالع الدين وتامله سيلاحظ ان الدين يلبي جميع انتظاراته كما يمكنه الظفر بذلك ان تامل الايات القرانية على سبيل المثال:

أ ـ ذكر القران اغلب غزوات النبي وفي مقدمتها غزوة بدر واحد وحنين والاحزاب وبين في اياته كيفية فنون القتال والاسر واطلاق الاسرى وسبل مواجهة العدو. فقد ورد في عدة ايات من اوائل سورة الاحزاب التي نزلت بشان غزوة الاحزاب ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾[1]. وورد عقب هذه الاية ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[2]. والذي يستفاد من هذه الايات ان النبي ﷺ كان يخوض تلك الغزوات مؤتمرا باوامر الله.

ب ـ كما وردت بعض الايات في الدفاع وقد امر الله النبي ﷺ بالدفاع عن المراكز الحيوية للدين التي تتعرض لهجمات العدو ذلك لان انهيار هذه المراكز يؤدي إلى تصدع وفساد المجتمع ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ﴾[3]. فالله تبارك وتعالى يبعث الانبياء ويامرهم بالذب عن حمى الدين وا فسدت الارض ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[4].

ج ـ امر الله سبحانه نبيه ﷺ حين شكل دولته في المدينة بكيفية استقطاب اصحابه واطلعه على كيفية سعي المنافقين لابعاد الاخرين عنه. فقال بشان كيفية جذب الافراد ان اهم عنصر لذلك الغرض حسن الخلق ومرونة القائد ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ

---

(١) سورة الاحزاب، الآية: ١٥.
(٢) سورة الاحزاب، الآية: ٢٣.
(٣) سورة الحج، الآية: ٤٠.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[١]. كما اطلعه على مؤامرات المنافقين ﴿يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾[٢]. فمنافقوا صدر الاسلام كانوا يقولون حاصروا النبي ومن حوله اقتصاديا لتضطرهم الضائقة المالية للانفراج عن النبي ـ وهو ذات العمل الذي يمارسه الاستكبار العالمي ـ فكان الجواب الالهي والغيبي ﴿خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾[٣].او تكون مفاتح الرزق بيد المنافقين بحيث اذا فرضوا على المسلمين حصارا اقتصاديا ابعدوهم عن النبي ﷺ كلا فخزائن السموات والارض بيد الله الذي يمكنه انزال بركات السماء والارض عليهم ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٤]. وقال تعالى ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾[٥]. لاشك ان الامة المحاصرة اقتصاديا تعاني من بعض المشاكل الاقتصادية الا ان الله يهون عليها تحملها بلطفه. اما السلوك العنيف فما لايحتمل ويطاق وحيث لا تتحمل الامة الظلم والاستبداد والسلوك العنيف خاطب الله تعالى نبيه ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فالاية تتحدث عن العلاقة الانسانية بين المسؤول والامة.

د ـ قال القران بشان مواجهة الاستكبار العالمي: لابد من قتاله لسببين:

١ ـ انه لا يلتزم بالمواثيق والعهود والقرارات ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾[٦].

٢ ـ انه لا يرى للاخرين من حرمة حقوقية ومالية وان ائتمن على شيء لا يرده

---

(١) سورة ال عمران، الآية: ١٥٩.
(٢) سورة المنافقون، الآية: ٧.
(٣) السابق.
(٤) سورة الاعراف، الآية: ٩٦.
(٥) سورة الملك، الآية: ٣٠.
(٦) سورة التوبة، الآية: ١٢.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾[(١)].

وعليه لابد من قتال من لا يفي بالعهود ولا يرى من حرمة لاموال الاخرين ذلك انه يرى نفسه افضل من الاخرين كالصهاينة الذي لايفون بعهد ويرون جنسهم وقوميتهم اسمى من سائر الاجناس والقوميات. ويظهر من تامل الايات المذكورة ان القران خاض في القضايا المتعلقة بدنيا الناس من قبيل الحكومة والسياسة والقتال والصلح اما اولئك الذين ينطلقون في ارائهم من اهوائهم او لا يمتلكون رؤية واضحة عن الدين بسبب عدم دراستهم الدين عن طريق البراهين العقلية والادلة النقلية زعموا ان الدين لاعلاقة له بالسياسة والحكومة والمعيشة. في حين يذعن كل من كانت له معرفة تامة بالدين بعمق تعالمية بكافة شؤون حياة الانسان وبعبارة أخرى ان الانسان اذا درس الدين من خلال الرجوع إلى المصادر الاثباتية أي الكتاب والسنة والاجماع والعقل لاكتشف ان الدين تعاليمه وارشاداته في جميع شؤون الانسان.

❖ الحاجة إلى الدين فتوى العقل

لابد من بيان مطلبين في مقامين بغية توضيح اعتبار العقل من مصادر اثبات الدين على غرار النقل.

المقام الاول: ان العقل ليس مستوعبا في النقل بل ان ورد الدليل العقلي بشرائطه «**تامين الصورة ومادة البرهان**» وافتى العقل المبرهن في ظل هذه الشرائط فالعقل هنا ليس شبيه الاجماع ليكون كاشفا عن السنة وتابعًا للنقل بل يحكي مستقلا ويكشف حكم الله، وبعبارة أخرى يكون العقل في مقابل النقل وليس في ظله.

(١) سورة ال عمران، الآية: ٧٥.

المقام الثاني: ان ادرك العقل مطلبا وافتى على اساسه فذلك المطلب يناظر النقل ويعاضده ولا يتقاطع معه ويعارضه، لان الفتيا الاصلية للعقل: اني افهم بالبراهين القطعية اني محتاج إلى الوحي والنبوة لاني لا اعلم كثيرا من الامور مثلا افهم ان امام الانسان طريق ابدي ولا يعرف هذا الطريق افهم ان الموت ليس عدم وهنالك شيء ما بعد الموت الا اني لا اعلم ما هو. ولما كان العقل يعلم كل هذه الامور ويفهمها تماما يدرك ضرورة الدليل الخبير بالطريق ليرشده ويدله ولا بد ان يكون هذا المرشد من طرف خالق الانسان والعالم وعليه فالعقل يقول ببراهين قطعية: انا محتاج لارشاد الانبياء والاولياء. ترى كيف يخاصم العقل الوحي وهو يعلم حاجته إليه؟ فلا يعقل ان يقول العقل من جانب اني بحاجة إلى النبي ويهب من جانب اخر لمعارضته والافتاء في مقابل حكم النبي كما صرح بذلك علي الحكيم احد كبار الحكماء كالذي الذي يقف على مرضه ويعلم بحاجة المريض إلى الطبيب ويعلم ايضا ان فلانا طبيب حاذق ويتمرد في ذات الوقت على وصفة الطبيب فهذا الشخص ليس بعاقل. ومن هنا قال الحكماء: العقل يساير النقل ولا يفتي العقل بما لا ينسجم والخطوط الكلية للنقل فحين لا يكون العقل معاديا ومعارضا للنقل سيعاضده ويعاونه وبعبارة أخرى العقل والنقل بمثابة جناحي طائر قدسي وملكوتي يحلق بهما في فضاء الاستدلال الطلق.

❖ طريق اثبات مصدرية مصادر الدين

لايمكن اثبات مصدرية هذه المصادر بواسطة العقل او القران او السنة ذلك لان اثبات الشيء بنفسه يستلزم الدور الا ان يكون لذلك الشيء حيثيات متعددة وليس المراد من ظهور الشمس دليل عليها اثبات الشمس بنفسها بل المراد شيء اخر، أي ذات الشيء مشهود في العلوم الشهودية ولا يحتاج إلى دليل وبرهان اما في العلم الحصولي فهنالك حاجة إلى البيان في التحليل والتعليل لاننا ننتزع مفهومين من شيء واحد. وعلى هذا الاساس لايمكن اثبات حجية القران بالقران

والسنة بالسنة والعقل بالعقل، لان ذلك يستلزم الدور لكن هناك جوابان لحل شبهة الدور: الجواب الاول: لايمكن اقامة الدليل على حجية العقل البرهاني التي تفيد القطع لان حجية العقل معلومة بالذات وتحتاج إلى التبيين فقط أي ان حجية العقل والقطع واليقين ليست استدلالية ولا تعني ان لها دليل وحيث تستلزم الدور فالعقل ليس دليلا عليها ولابد من اقامة دليل اخر بل ليس لها دليل اصلا كاصل قانون العلية الذي يابى التعليل؛ لاننا ان اردنا تعليل قانون العلية لزم الدور ذلك لانه ينبغي ان نستدل لاثباته ولابد من صغرى وكبرى في كل استدلال، ونتوصل من تلك المقدمتين إلى نتيجة في حين رابطة المقدمات بالنتائج رابطة علية. ومن هنا لايمكن اقامة الدليل على اصل العلية كما لايمكن اقامة الدليل على ابطاله فلابد من قبول اصل العلية قبل ابطاله. ولذلك قالوا: قانون العلية يابى الاثبات والبطلان والشيء الذي يابى الاثبات والبطلان اما مجهول بالذات او معلوم بالذات وبما اننا نتنفس في فضاء الاستدلال ونعيش في فضاء البراهين العقلية يتضح ان اصل العلية معلوم بالذات ويابى التعليل باي شكل من الاشكال. وموضوع دليل العقل **«البرهان المفيد للقطع»** كذلك يعني ان دليل العقل معلوم بالذات وبما انه معلوم بالذات فلابد من تبيينه وليس تعليله لان **«الذاتي»** لا يعلل. الجواب الثاني: الدليل العقلي قسمان: المفيد للقطع واليقين والمفيد للاطمئنان والقسم الاول الدليل العقلي حجة اما القسم الثاني فسيكون غير قطعي كما نجعل السنة القطعية حجة السنة الظنية أي ان ثبت خبر بصيغة تواتر وكانت دلالته يقينية فانه يمكن الاستدلال به لاعتبارية الخبر **«الظني الدلالة»** واستنادا إلى ذلك في ان الدليل غير المدلول فسوف لن يستلزم الدور البتة كما ان كان لدينا نصوص في القران الكريم قطعية الدلالة على مطلب فانه يمكن اثبات حجية ظواهر القران بتلك النصوص. وعليه فلابد من فرض التعدد بين الدال والمدلول لتجنب الدور. والحاصل مصدرية اثبات العقل للدين قطعية وبينة ولا تحتاج إلى دليل بل تثبت مصدرية اثبات النقل بالدليل العقلي البين مثلا يثبت بالمعايير العقلية ان لابد ان تكون لصاحب الوحي معجزة ويفهم بالمعايير

العقلية ان هنالك فرقا بين المعجزة والعلوم الغريبة من قبيل السحر والكهانة كما ندرك على ضوء المعايير العقلية ان القران معجزة فاذا ما ثبت اعجاز القران ستثبت حجيته. ولايضاح الموضوع في قضية العقل واعتباره وحجيته يمكن القول: للعقل تارة علم شهودي وتارة أخرى علم حصولي. وسر انحصار العلم في الشهودي والحصولي ان المعلوم اما حقيقة الوجود او مفهوم الوجود او ماهية ومفهوم العلم هو الاخر احد حالتين فان انطلق العالم إلى الوجود كان علمه امرا شهوديا وان انطلق إلى الماهية او المفهوم كان علمه امرا حصوليا والعالم يبلغ المعلوم في العلم الشهودي وكلما كان العلم ارقى ظفر بمعلوم اكثر لان ذات المشهود الخارجي في العلم الشهودي مراة ذاته، اما العالم في العلم الحصولي فلا يبلغ العلم مهما اتجه صوب المعلوم ولا يرى في مراة العلم سوى صورة المعلوم على سبيل المثال ان اراد شخص معرفة الماء فلا يبلغ معرفة الماء وان اتجه نحوه لا يعرف حقيقة الماء. وعليه فالانسان يقصد الواقع في العلم الحصولي لكنه لا يظفر بالعلم بالواقع طبعا العلم يعكس للانسان الواقع.

❖ عملية العقل في استنباط الاحكام

ولا يبدو هذا الكلام مستقيما لان صاحب هذا الراي اختصر الدين في القضايا المعنوية واعتبر الدين أي الوجوب والحرمة والمستحب والمكروه والمباح الذي يناظر الدليل النقلي ايضا، اما ان اقررنا بامكانية تلبية الدين لحاجات الانسان في كافة الازمنة والامكنة في جميع الامور سواء المعنوية والعلمية فان الدليل النقلي لوحده ليس كافيا ولحكم العقل دوره في تلك الموارد سواء بصورة مستقلة ام غير مستقلة ولعله يمكن الاشارة إلى بعض الموارد التي يفتي فيها العقل ومنها:

١ ـ مسالة الحسن والقبح.

٢ ـ تلازم الاحكام بالملاكات أي حيثما كان الحكم الشرعي كان هنالك الملاك يعني المصلحة او المفسدة وحيثما كان الملاك كان الحكم ٣ ـ الاستلزامات

كاستلزام «**ذي المقدمة بالمقدمة**» مثلا يقول العقل: ان اوجب الشارع شيئاً فان مقدماته واجبة ايضا. ويتكفل العقل بجميع الاقسام العلمية لمقدمات ذي المقدمة. على سبيل المثال قال تعالى ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ. . .﴾[1] فهذه الفتوى معنوية روحية واما كيف تستعد الامة الاسلامية لمواجهة العدو وكذلك ماهي الوسائل الدفاعية التي ينبغي لها الاستعانة بها هنا يرد دور العلم ليقول على المجتمع الديني ان يستفيد في قوته البحرية من الغواصات وفي القوة الجوية من المقاتلات وان يتمتع بوسائل عسكرية وامكانات وتقنية تفوق ما لدى العدو ليضمن عدم تعرضه لهجوم الاعداء. فالعقل يحكم بضرورة الاستفادة من العلم والاستعانة به في توفير المقدمات ومخالفته تستبطن العقاب الاخروي. كما يلزم طبق العقل الانفتاح على مكتسبات الطب لعلاج الامراض بغية ضمان سلامة الامة. ونخلص مما سبق إلى ان العقل ليس مصدرا اثباتيا للدين في الفقه والاخلاق فحسب، بل هو حجة دينية ينبغي الاستفادة منها في المجالات العلمية.

الدليل الاجتهادي والدليل الفقهي

❖الدليل المستخدم في الاستنباط على نوعين:

١ ـ الدليل الاجتهادي أي الدليل كالكتاب او السنة او الاجماع الذي يدل مباشرة على الحكم كالايات ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾[2]. ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[3]. ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[4]. ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾[5]. التي تدل على تحريم الميته وحلية البيع وحرمة الربا وحرمة الغيبة وحرمة النظر إلى

(١) سورة الانفال، الآية: ٦٠.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.
(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٢.
(٥) سورة النور، الآية: ٣٠.

الاجنبية. فقد بين حكم الموضوعات في مثل هذه الموارد مباشرة في الكتاب او السنة.

٢ ـ الدليل الفقهي أي ان فتش الانسان في موضع بشان الحكم الشرعي ولم يظفر بعد الفحص والاجتهاد التام بدليل للحكم جرت البراءة طبعا شخص القران الحكم والتكليف في هذه الموارد فقال ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[(١)]. فالواقع ان القران بين تكاليف الاحكام الاولية كما وضح الوظيفة العملية في حالة فقدان الدليل. وكما ان الدليل القراني او السنة قسمان فان للعقل ايضا امران: الاول ان العقل يفتي في اغلب الموارد بحرمة الشيء او وجوبه بصورة مستقلة. مثلا يقول العقل انقاذ اموال الناس وارواحهم واجب، وان كان هنالك دليل نقلي بهذا الخصوص فهو مؤيد لحكم العقل، أي ان الدليل النقلي في هذا المورد يقول بصحة فهم العقل. كما يقول العقل الوفاء بالعهد واجب وخيانة الامانة حرام ورعاية حق المظلوم واجب و. . . والثاني ان العقل في موارد أخرى يقول: ان فتشتم في مسالة عن الدليل العقلي والنقلي ولم تظفروا بهما جرت فيها البراءة أي فتوى العقل وحكمه قبح العقاب بلا بيان فالعقل يعرض هنا دليلا فقهيا، اما الموارد السابقة فقد عرض فيها دليلا اجتهاديا اذا فالعقل يسير كالنقل احيانا يكون دليلا اجتهاديا يفيد الحكم الواقعي واخرى في حد الدليل الفقهي يبين الوظيفة العملية. ويتضح من خلال الالتفات إلى قسمي الدليل الاجتهادي والفقهي: علية جعل ابن ادريس(ره) في الطبقة الرابعة وقال لابد من الاتجاه إلى دليل عقل عند فقدان دليل الكتاب والسنة المتواترة والاجماع. وعليه فقد اعتبر ابن ادريس في مقدمة السرائر العقل من مصادر الدين حيث يمكن بواسطته التوصل إلى جميع الاحكام الشرعية وبعبارة أوجز كما ان الكتاب من مصادر الاحكام الشرعية فان العقل من مصادرها.

---

(١) سورة الاسراء، الآية: ١٥.

❖ حجية العقل البرهاني

ليس كل عقل من مصادر الدين الاثباتية بل للعقل معيار وضابطه فالعقل المصدر الاثباتي للدين هو العقل البرهاني والذي يثبت بمبانيه ومبادئه وجود الله وضرورة الحاجة إلى النبي. وبعبارة أخرى ان الحكم الفقهي والاخلاق حجة شرعية للعقل الذي يثبت بمعياره الخاص وجود الله والنبي ووجوب عصمة النبي واتيانه بالمعجزة والذي يفرق بين المعجزة والعلوم الغريبة بعبارة أخرى ما كان بين او مبين بلحاظ العقل فهو كاشف عن الدين والشريعة والله تعالى يحتج به في يوم القيامة ذلك لان القران يستند إلى العقل والمعصومين عليهم السلام صرحوا ايضا ان الله زود الانسان برسول باطني واخر خارجي والرسول الباطني هو عقل الانسان وفطرته. والمنطق هو الذي تكفل بشرائط حجية العقل حيث بحث في المنطق البرهان المفيد لليقين واختلافه عن التمثيل المنطقي - القياس الالهي - إلى جانب الاستقرار الناقص طبعا العقل في مباحث الحكمة العملية التي يكون الاطمئنان فيها حجة يتلقى ويورد اصل حجية الطمانينة وكذلك كيفية تحصيل الاطمئنان من المبادئ الحسية والتجريبية او التجريدية والانتزاعية لان فتوى العقل في هذه الموارد عدة اشياء هي:

١ - ان بناء العقلاء في موارد عدم امكانية الوصول إلى اليقين على الاكتفاء بالاطمئنان.

٢ - ان الشارع المقدس لم يرد او يبطل الاعتماد على الطمانينة.

٣ - كل ما شاهده الشارع المقدس ولم يردعه فهو حجة.

❖ العقل الخالص

ان العقل الذي يعد من المصادر الاثباتية للدين هو العقل الخالص الذي لم يتلوث باطنا وظاهرا حيث صرح صاحب فرائد الاصول الشيخ الانصاري (ره)

قائلاً: ان العقل الفطري الخالي من شوائب الاوهام[1]هو العقل الذي يعد من مصادر الدين ويفقد هذا العقل اعتباره حين تشوبه اوهام الشيطان. ويتركز جل نشاط الشيطان على تلويث هذا المصدر المعرفي بالاوهام فللشيطان بهذا الخصوص نشاطان:

١ ـ المغالطة التي اسهب في بحثها المناطقة وسعى الحكماء للتعرف عليها بغية عدم الوقوع في شباكها وهي على اقسام بحثت بالتفصيل في المنطق.

٢ ـ النشاط الاخر للشيطان والذي يبدو اعمق من الاول ولايمكن معالجته عن طريق الحكمة النظرية والمنطق بل بواسطة الاخلاق والعرفان العملي والذي يتمثل باظهاره الباطل بصيغة الحق والقبيح بصورة الحسن والسيء بصورة الصالح فالقضايا قسمان «**حق وصادق وباطل وكاذب**» والشيطان يبدي القضايا الباطلة حقا ليقع الانسان في الخطأ. ويقتصر نشاط الشيطان في هذه القضية على صعيد الدافع لا الفكر أي يسعى لاختراق النية والادارة والعزم والاخلاص او تسليط الغضب والشهوة على العقل العملي وهكذا تتضح فلسفة تهذيب الروح وتزكية النفس ازاء مساعي الشيطان على صعيد الدوافع بغية حرف الانسان عن مساره، فتهذيب النفس يمهد للانسان السبيل للتغلب على نفوذ الشيطان.

❖ المغالطة

المغالطة ان يصنع الانسان شيئاً شبيها وبديلا للاصل وتتسلل هذه المغالطة إلى البرهان والخطابة والشعر والجدل: ففي البرهان تطلب فقط المقدمات الضرورية والذاتية والكلية والدائمية ونفوذ الشيطان في هذا المجال ان يورد المقدمات الباطلة المشابهة للحق بدل الحق والمقدمات الشبه يقينية بدل اليقين والشبيهة الذاتية والضرورية والكلية والدائمية بدلها. وعلية فان فتنة الشيطان في دائرة

---

(١) فرائد الاصول: ج١ص٤٠.

البرهان جعل ما يشبه الحق واليقين بدلهما. اما تدخل الشيطان في الخطابة والموعظة فاستبدال المقبولات باشباهها والخيال بشبهة في الشعر واما في الجدال فيتلخص في جعل المقدمة غير المقبولة بدل المقدمة المقبولة لدى الطرفين والتي يسلم بها الطرف المقابل ليستنتج تلك النتيجة التي تكون من سنخ المقدمة. وهدف علماء المنطق من خلال ما اوردوا من معايير التمييز بين البرهان وشبيهه والخطابة وشبهها والشعر وشبهه والجدال وشبيه الجدال. وعليه يمكن بالمنطق والحكمة اغلاق الطريق على الشيطان والحيلولة دون تسلله إلى «**القياسات**» والنجاة من المغالطة في التفكير.

❖ الفعالية الخطيرة للشيطان

الفعالية الشيطانية الخطيرة والتي تعتبر اخطر من المغالطة المنطقية في ان ينفذ إلى الانسان ليغالط في حكمه النهائي فيستعيض عن العقل بما سواه من غير العقل الامر الذي يجعل هذه المغالطة تشق طريقها إلى هوية الانسان وحل هذه المغالطة مما لا يستطيعه المنطق ولا الحكمة بل حلها بالدرجة الاولى عن طريق العرفان العملي ومن ثم الاخلاق، ذلك لان شيئاً اخر حل محل العقل الذي ينبغي ان يميز الحق من شبهه أي ابليس حل محل هذا الانسان فيفكر ويقرر ويمارس الفعل بدله.

❖ رسالة الانبياء

ان الرسالة الاصيلة للانبياء عليهم السلام حل مغالطة الشيطان في هوية الانسان فالعرفان العملي والاخلاق من بركاتهم ومعطياتهم. وجل سعي اولياء الله اعادة الانسان إلى فطرة الله ومراقبةنفسه حتى لا يتسلل إليه اخر ويسلبه اياها ويحيل عقله سفها ووجوده شيطانا. روى الشيخ الكليني (ره) ان احد تلامذة الامام الصادق عليه السلام سالة: ما العقل؟ فاجاب عليه السلام: العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان

فالانسان العاقل المتوسط الايمان ينال تلك الجنة التي تجري من تحتها الانهار وفيها من كل الثمرات وان كان اوحديا عالي الايمان انما ينال «**جنة اللقاء**» ثم ساله السائل: فما ذلك الذي كان عند معاوية؟ كان سياسيا ماهرا خاض المعارك وانتصر فيها وتمكن من قتل علي بن ابي طالب عليه السلام والسيطرة على الحكومة. فقال عليه السلام: تلك النكراء تلك الشيطنة وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل[١]. قال علي عليه السلام في صفة جماعة «**اتخذوا الشيطان لامرهم ملاكا واتخذهم له اشراكا فباض وفرخ في صدورهم ودرب ودرج في حجورهم فنظر باعينهم ونطق بالسنتهم**»[٢]. فالشيطان ينفذ إلى قلب الانسان عن طريق المكروهات بادئ الامر ثم المعاصي الصغيرة والكبيرة فاذا نفذ إلى قلب الانسان استحوذ عليه شيئاً فشيئا ولن يكون هذا الانسان سوى منفذا لهواجس الشيطان فينظر بعينه وينطق بلسانه وهكذا يطمس الشيطان هوية الانسان وانسانيته فيدفنه حيا دون القضاء عليه حيث تابى فطرة الانسان التوحيدية الموت والفناء.

❖ علامات نفوذ الشيطان إلى عقل الانسان

اشار ائمة الشيعة إلى علامات نفوذ الشيطان إلى الانسان ليعود الانسان إلى نفسه ان شاهد هذه العلامات فيهب ويسارع لاصلاحها ومن تلك العلامات والملامح:

١ ـ العجب: قال الامام علي عليه السلام «**اعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله**»[٣] فهو يعاني من الضعف العلمي في تمييز الحق من الباطل.

٢ ـ وعظ الاخرين ونسيان الذات: قال تبارك وتعالى في الواعظين غير

(١) اصول الكافي: ج١ص١١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٧.

(٣) اصول الكافي: ج١ص٢٧.

المتعظين ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١]. أي ان لم تدركوا قبح هذا الفعل فاعلموا انكم قاصرين على صعيد العقل النظري وان وقفتم على قبحه وتضعفون عن تركه فانت عاجزون على صعيد العقل العملي.

٣ ـ السرور باطراء الجاهل. قال علي عليه السلام: «**ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه ولا بحكيم من رضي بثناء الجاهل عليه**»[٢]. فالشخص الذي تهزه الاقوال الشاذه فيتقوقع ويتخلى عن مسؤوليته الاجتماعية ورسالته التبليغية ليس بعاقل وذاك الذي يسر لثناء الجاهل وتملقه ليس بحكيم. وعليه فمن اراد ان يكون عقله مصدرا اثباتيا للدين وجب عليه تطهيره من الشوائب وحفظه من المصائب.

٤ ـ السقوط في فخ الهوى ان العقل يدرك الحق كونه بينا عن الباطل ان لم يكون اسير الهوى والا تسللت إليه الاغراض والاطماع فيغط في عتمة ظلام الباطل حتى يظن ان الوثنيين والمشركين اهدى وارقى من المؤمنين. ولعل هذا التعصب كان سائدا منذ الازمنة البعيدة الذي يرى المشركين اهدى من المؤمنين. قال تبارك وتعالى بشان اليهود ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾[٣]. ذلك انهم كانوا يرون المشركين والكفار احرارا في تحللهم في حين قال تعالى ازاء كلمتهم ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[٤]. قال علي عليه السلام ان العقل ليشهد على ما اقول شريطة ان لاياسره الهوى «**شهد على ذلك العقل اذا خرج من اسر الهوى**»[٥]. ذلك ان عقل بعض الافراد تابع لهواهم «**كم من عقل اسير تحت هوى امير**»[٦]. ومشكلة

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٢) اصول الكافي: ج١ص٥٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥١.

(٤) سورة الاسراء، الآية: ٩.

(٥) نهج البلاغة: الرسالة ٣.

(٦) السابق: الحكمة ٢١١.

العقل انه ان وقع اسير الهوى فهم المطالب لكنه يسيئ الحكم أي انه يدرك الحق لكنه ينطق بالباطل، اذا فالهوى احد طرق نفوذ الشيطان. ويشير ما قيل لحد الان ان الانسان ينبغي ان يتصدى باخلاقه وسلوكه العرفاني للامور المذكورة بغية النجاة من نفوذ الشيطان وعدم وقوع عقله اسير الهوى انذاك يكون من اليسير عليه ادراك الخير والشر والحق والباطل والتصرف على اساسهما.

❖ معنى حجية العقل

حين يقال ان الاستدلال العقلي معتبر وحجة شرعية ويمكنه ان يكون مدار احتجاج الله على العبد وبالعكس فمعنى ذلك ان الانسان اذا اراد الايمان والتصديق بحقيقة في القضايا العلمية والعقائدية لابد ان ينطلق في ايمانه من البرهان العقلي واذا اراد العمل بشيء في القضايا المرتبطة بالعمل لابد ان يباشر العمل بوحي منه ايضا. بعبارة أخرى الاستدلال المعتبر في المسائل العلمية ما يوصل الانسان إلى اليقين اما في المسائل العملية فلا يلزم هذا الجزم واليقين ويكفي الاطمئنان للعمل به، من قبيل التعبديات. فان كان الدليل العقلي مطابق للواقع فالمستدل ماجور ويمكن العمل باستدلاله وان لم يكن مطابقا فهو معذور عند الله. ولا نروم هنا البحث عن الحجة العملية بل يقتصر البحث على الحجة العلمية أي الامر الذي يظهر بموجبه الحزم واليقين العلمي.

❖ كيفية وعلية حجية العقل

حجية العقل البرهاني حق بسبب عدم تسلل الخطا والنسيان إليه على غرار القران في ان كل ما يقوله حق وان كل ما يقوله النبي حق ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾[1]. وسنة المعصومين عليهم السلام حق وليس للهوى من سبيل اليها. فالعقل هو

---

(١) سورة النجم، الآية: ٣.

الاخر ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ ربما يصعب بادئ الامر قبول هذا الكلام الا ان تحليل هذا المطلب وتبيينه بصورة صحيحة يكشف انه حق.

توضيح ذلك اولا: العقل مصباح الله الذي اودعه سبحانه فطرة الانسان والهمه الفجور والتقوى. ثانيا: ليس هنالك من مجال للابهام والخطأ في موضع الالهام. فما الهمه الله الفطرة مصون من خطا المعلم والمتعلم ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[١]. ومصونة من السهو والنسيان ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[٢]. والعقل المستلهم مصون ايضا من السهو والنسيان لان الله تبارك وتعالى اخبر اني الهمت العقل والنفس الفجور والتقوى. ثالثا: قال تعالى بشان الميثاق ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[٣]. ولو ازال الانسان عن نفسه ما علق بها من غبار لتذكر الان ذلك المواطن حيث قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ﴾. وكلمة اذ ظرف منصوب وناصبها فعل الامر المحذوف ﴿ٱذْكُرْ﴾. ولو كان متعلقا بالعوالم السابقة ولا علاقة له بين فعلية الانسان وذلك العالم الذي اخذ فيه الميثاق لما قاله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ﴾ فالله يحتج الان. وعليه فالعقل الخالص وفطرة الانسان مستلهمة من الالهام الالهي ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾[٤]. وقد تبلور هذا الميثاق والالهام بصيغة الفطرة ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[٥]. وهذه الفطرة وهي ذلك العقل الخالص محفوظة ومصانة من الخطأ. ولو لم يكن العقل مصان من الخطا في الخطوط الاولية والامور البديهية ويتحدث على اساس الهوى لما كان امام الانسان من سبيل لاثبات مبدا العالم لانه ببرهان العقل يثبت ان للعالم صانع وهنالك وحي

---

(١) سورة الشمس، الآية: ٧-٨.
(٢) سورة مريم، الآية: ٦٤.
(٣) سورة الاعراف، الآية: ١٧٢.
(٤) سورة النجم، الآية: ٣.
(٥) سورة الروم: الاية ٣٠.

ونبوة واعجاز وصاحب المعجزة النبي وهذا النبي معصوم والعلوم الغريبة غير المعجزة. وهنالك تقريب اخر لعصمة العقل هو:

١ ـ ليس المراد من العقل في هذا التقريب قوة خاصة وشان خاص للنفس البشرية بل المراد خصوص البرهان العقلي الذي يتوصل عن طريق بعض المقدمات إلى النتيجة.

٢ ـ العلاقة بين المقدمات والنتيجة علاقة مباشرة وضرورية لا تختلف ولا تتخلف.

٣ ـ الصراط المستقيم معصوم من ازالة التخلف ومصون من هفوة الاختلاف لانه لا يفقد النتيجة ولا يتوصل إلى نتيجة معكوسة قط مع الاخذ بنظر الاعتبار المبادئ المفروضة والمقدمات المخصوصة.

٤ ـ العاقل والمبرهن السالك لهذا الصراط يصيب احيانا ويخطئ أخرى. اذا يمكن القول ان الصراط معصوم رغم ان سالكه ليس معصوما.

٥ ـ الوحي والموحى إليه معصوم ومن هنا سيكون هناك فارق جوهري وجلي بين النبي وسائر الافراد اصحاب النظر واهل الاستدلال.

❖ تخطئة وتصويب

ما ذكر إلى هنا ان الكتاب والسنة والعقل الخالص معصوم اما المجتهدون الذي ستنبطون الاحكام من ايات القران او السنة وروايات المعصومين عليهم السلام وكذلك ما يستنبطه المفكرون العقلاء من مصدر العقل مصيبون احيانا ويبلغون الحق واحيانا أخرى مخطئون ولا يتوصلون إلى الحق والا فالعقل كالنقل لايحمل سوى الهدى. بعبارة أخرى الناقلون الذين ينقلون من العلوم النقلية والعقلاء الذين سيتنبطون من العلوم العقلية طائفتان طائفة تبلغ الواقع واخرى لا تبلغ الواقع فتارة يحصلون على حقائق خالصة واخرى مشوبة كالماء في البئر حيث يتمكن البعض بمهارته وتجربته

من استخراج الماء الصافي بينما يحصل على الماء العكر اثر ادنى غفله. وكوثر الوحي والالهام عذب فرات في كل زمان ومكان وشفاف ومصان من الشوائب الا ان المجتهد والمفسر يراعي احيانا الاحتياط والخبرة فيتوصل في المعارف إلى الراي الصائب واحيانا أخرى ويفعل الذهول عن بعض الشرائط العملية او العلمية لا يتوصل إلى الراي الصائب. وعليه فالتصويب المطلق باطل.

❖ علة حجية البديهيات

اتضح ان مبنى الفرقة «**المخطئة**» حق ومبنى الفرقة «**المصوبة**» باطل وان التخطئة حق والتصويب باطل وان ما يتحصل بالبرهان العقلي اليقيني حجة الا ان الذي ينبغي ان تعرفه لم كانت البديهيات حجة؟ قال البعض: ان البديهية حجة كون الانسان يفهم المطلب البديهي ويعجز عن تصديق نقيضة يعني حين يثبت عنده ان الشيء الفلاني موجود، فلا يسعه ان يصدق بان نقيضه موجود ايضا. بعبارة أخرى ان الامور البديهية والامور النظرية التي تنتهي إلى امور بديهية حجة كونها يقينية وبعبارة أخرى ان البديهيات حجة لاننا لا نستطيع تصديق نقائضها لانها ان كانت موجودة فلا يمكن القول ان نقائضها موجودة ايضا. احيانا يشكلون على هذا الدليل ويقولون: معنى حجية البديهية اننا لا نستطيع التصديق بنقيضها الا ان مجرد عجز العقل عن تصديق النقيض ليس دليلا على صدق اصل القضية.اذن فدليل اعتبار وحجية القضية العقلية ليس تماما لانه اما ان تثبت هذه القضية بالبرهان العقلي وهذا يستلزم الدور واما ان نفرضها اصل موضوعي وبعنوان فرض مسبق.

❖ التفسير الصحيح لحجية البديهية

ما نقوله من ان القضية العقلية حجة لابد ان نفسره بصورة صحيحة لاان نفسره بالري ذلك لان التفسير بالراي سواء بالنسبة للقران او ما يتعلق بالعقل باطل. وعلى هذا الضوء نقول: معنى حجية واعتبار البرهان العقلي ان للعقل جزمان

احدهما انه يعلم بان «**الف، باء**» والاخر يمكنه ان يصدق «**محال ان لا يكون الف باءا**» فهنالك فرق شاسع بين ان نقول: ان العقل عاجز عن التصديق بنقيض القضية المذكورة وان العقل قادر على ان يفتي باستحالة النقيض. فلو عرضنا على العقل القضية «**المصباح مشتعل**» فان العقل يقول: اولا المصباح مشتعل وثانيا: يستحيل ان يكون مشتعلا مع حفظ الوحدات التسع في تلك الحالة المشتعل فيها المصباح أي ان العقل يفتي باستحالة الجمع بين النقيضين.اذا فالكلام ليس عن عجز العقل عن تصديق النقيض بل الكلام عن قدرة العقل على الجزم باستحالة النقيض.

❖ ضرورة الامور الاربعة في اليقين

تقرر في فن البرهان المنطقي ضرورة توفر اربعة امور في الاستدلال للوصول إلى اليقين وتعود هذه الامور الاربعة بعد التحليل إلى شيئين. والامور الاربعة هي:

١ ـ ان يجزم الانسان بثبوت المحمول للموضوع في كلا المقدميتن الصغرى والكبرى.

٢ ـ ان لايكون هذا الجزم مرحلي وقابل للزوال بل يرعى جميع الشرائط الزمانية والمكانية وامثال ذلك في هذا اليقين مثلا لو كانت هنالك شجرة في مكان وزمان ومرت خمسون سنة وزالت الشجرة فاليقين باق بوجود الشجرة في ذلك المكان والزمان ومن هنا فان هذا الجزم واليقين يابى الزوال.

٣ ـ ان يجزم باستحالة سلب المحمول عن الموضوع لان هنالك فرق بين الدوام والضرورة فالدوام ثبوت المحمول للموضوع دائما اما احتمال زوال المحمول عن الموضوع فمحال.

٤ ـ الجزم باستحالة سلب المحمول عن الموضوع يابى الزوال ايضا. الا ان هذه الامور الاربعة تعقد بالتالي إلى امرين احدهما ثبوت المحمول للموضوع والاخر امتناع سلب المحمول عن الموضوع. وللعقل جزم ويقين بالقضية الاولى

وكذلك القضية الثانية. واستنادا إلى هذا التحليل الذي انطلق من البديهي فان حجية البديهي ممزوجة به لان الوصول إلى الواقع ليس بشيء سوى حصول الجزم، الجزم بوجوده واستحالة خلافة. اذن فحجية القضية البديهية مقرونة بها ولا تنفك عنها وتصورها بدقة مقترن بالتصديق.

❖ طبيعة الدليل العقلي

بالنظر إلى توقف العلوم النقلية على البرهان العقلي وتوقف علوم العقل النظري على البديهي فلابد من التامل اعتبار وحجية البديهي هل هي ذاتية ام تعتمد على امر اخر؟ استنادا إلى التحليل السابق فان حجية البديهي لا تعتمد على شيء اخر أي ان البديهي ليس فرضا مسبقا، ولو كان كذلك لما كان سوى سفسطة. بعبارة أخرى ناخذ قضية بديهية «**مفروضة الحجة**» ونرجع اليها قضية نظرية «**مفروضة الحجة**» اذا فبم حجية البديهية؟ وبعبارة أخرى اننا نثبت الوحي بالعقل أي نقول للعالم اله ولذلك الاله اسماء حسنى واحد اسمائه الحسنى الحكيم والهادي والله الحكيم والهادي لايترك الانسان دون مرشد وذلك المرشد لابد ان تكون له معجزة والمعجزة تختلف عن العلوم الغريبة، وهنالك علاقة ضرورية بين الاعجاز وصدق الدعوة. كل هذه الامور فتوى العقل النظري التي ينبغي ان تعود إلى البديهي. ومن جانب فان حجية البديهي مفروضة وحين تفرض فلا يقين واذا لم يحصل اليقين فلا ايمان. وعليه لابد ان نقف على حجية البديهي. ونقول ان حجية القضية العقلية البديهية بالذات لا انها مفروضة الحجة لان اعتبار العقل المعتبر بشبينة بالذات، والبين والمعلوم بالذات حجة بالذات وما كان حجيته بالذات هو اساس العديد من المسائل.

❖ استدلال العقل

لابد من تنويه وتوضيح لنعلم كيف ان العقل حجة بالذات. فالذي ينطلق إلى النتيجة من المقدمات هو العقل. توضيح ذلك ان تقسيم الاستدلال إلى عقلي ونقلي

ليس بلحاظ الصورة لان الصورة قياس ان كانت «**اقترانية**» او بالشكل الاول او الشكل الثاني وما شابه ذلك، وان كانت استثنائية فاما «**شرطية متصلة**» او «**منفصلة**» وهي عقلية محضة وليس للنقل من سبيل اليها وربما يرد الدليل النقلي احيانا في قالب إحدى الصور المذكورة ويظهر نفسه بواسطة الصورة المعقولة. والسؤال الذي يطرح نفسه: هل كل دليل مستدل مطابق للواقع ام لا؟ هل كل ما يفهمه الانسان حق وهل واقعية الشيء تابعة للذهن البشري؟ طبعا هذا الكلام باطل فالافهام احيانا متناقضة واخرى متضادة هذا من جانب ومن جانب اخر فان الجمع بين «**النقيضين**» او «**الضدين**» محال.اذن ليست جميع الافهام صحيحة وعليه هناك فهم مطابق للواقع واخر غير مطابق أي هنالك بعض القضايا الصادقة والبعض الاخر الكاذبة بعضها صواب وبعضها الاخر خطا بعضها حق وبعضها الاخر باطل. وهذا التفصيل لا ينسجم مع اباء العقل للخطا. ومن هنا فان التخطئة حق والتصويب باطل.

ب ـ الرجوع إلى النقل

تبين إلى هنا طرق انتظار البشر من الدين والتي كانت غالبا ما تتعلق بمصدر العقل وهنا نسلط الضوء على تبيين انتظار البشر من الدين عن طريق دراسة مصدر النقل ليتضح من خلال الرجوع إلى القران والروايات ان الدين والى جانب عنايته بالاخرة وابدية الانسان خاض في مختلف جوانب حياة الانسان الدنيوية. وبعبارة أخرى يفيد تامل ايات القران الكريم وروايات النبي والائمة المعصومين عليهم السلام ان الدين الاسلامي طرح المبدا والمعاد والوحي والنبوة بصفتها مسائل عقائدية للمجتمع البشري ومن جانب اخر بحث الفضائل الخلقية والرذائل وكيفية تحصيل الفضائل وترك الرذائل واخيرا استعرض المسائل العادية والفردية وعلم المجتمع البشري القضايا الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والسياسية والقضائية والحقوقية و... ونشير هنا إلى بعض الايات الواردة في المجالات الاجتماعية والحقوقية والقضائية في حياة الانسان:

أ ـ يرى القران العدالة من الاهداف الاساسية لرسالة جميع الانبياء، فانزل الحديد لحفظ اقتدار النظام العادل ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[1]. كما اشار إلى الورع والتقوى في رعاية العدالة وقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[2]. وقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[3].

ب ـ دعا القران المؤمنين إلى التعاون على اساس التقوى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[4].

ج ـ دعا الله تعالى المسلمين لكسب القوة بغية صد العدو عن الاعتداء ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[5].

د ـ حث القران المسلمين على الاستقلال الاقتصادي والسياسي ورفض التبعية للاجنبي ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[6].

هـ ـ قال القران بشان اجراء الحدود الشرعية عقب المكنة في الارض والقوة ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[7].

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٨.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٣٥.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٢.
(٥) سورة الانفال، الآية: ٦٠.
(٦) سورة النساء، الآية: ١٤١.
(٧) سورة الحج، الآية: ٤١.

و ـ حث الله تعالى المجتمع الاسلامي على المشاورة وتداول الاراء في الامور الاجتماعية ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1].

ز ـ ذكر القران المراقبة الاجتماعية لاجراء القانون في اطار الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2]. فالله تعالى لم يدع المجتمع الاسلامي لهذه الفريضة الكبرى فحسب بل عدها من مميزات الامة الاسلامية ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[3]. كان ما ذكرناه بيان مجمل لنماذج من القضايا الاجتماعية والحقوقية والدنيوية التي وردت في القران «**وان قرنت بعض الايات المسائل المعنوية والاخروية بالقضايا الاجتماعية**» والتي تتطلب شرحا مسهبا مستقلا لايسعه البحث. ولكن لاهمية الموضوع سنبين في الفصل القادم نماذج منة تلبية الاسلام لتطلعات البشرية على صعيد الامن القومي والوحدة الوطنية والاقتدار الجماهيري وقيمة العمل في الاسلام وكرامة العامل في الاسلام والسلام العالمي والدين والتنمية.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٨.
(٢) سورة ال عمران، الآية: ١٠٤.
(٣) سورة ال عمران، الآية: ١١٠.

القسم الثالث

نماذج من تلبية الاسلام لتطلعات البشر

الفصل الاول:

الاسلام والوحدة الوطنية

ان الوحدة الوطنية والوفاق من افضل معطيات الدين. وبغض النظر عن الجانب الايجابي للوحدة وحث الجميع على الاعتصام بحبل الله المتين أي الاسلام ـ المتبلور في القران والعترة ـ تحدث عن الجانب السلبي للفرقة والتشتت واثار الاختلاف الهدامة. قال تعالى بشان اهمية الوفاق الوطني ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[1]. وقال بخصوص التحذير من الاختلاف والترهيب من الفرقة والتشتت ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[2]. فقد عد التشتت والانقسام داخل المجتمع الذي تسوده اصول وعناصر مشتركه علامة على الجهل وعدم التعقل. اذن فملامح عقلانية الامة انما تتجلى في وحدتها. وصنو القران الكريم علي بن ابي طالب عليه السلام تحدث على غرار القران في المحورين المذكورين وكما ان القران الكريم مصان من افة الاختلاف ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[3]. وصان الامة الاسلامية من مخاطر الفرقة والتشتت فانه عليه السلام.

أولا: مطهر من كل دنس وفرقة وتشتت ويخطو دائما باتجاه الوفاق والوحدة. ومن هنا كتب لابي موسى الاشعري «**وليس رجل ـ فاعلم ـ احرص على جماعة امة**

(١) سورة ال عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الحشر، الآية: ١٤.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٢.

محمد ﷺ والفتها مني ابتغي بذلك حسن الثواب وكرم الماب»[١].

وثانياً: حذر عليه السلام من خطورة الفرقة فقال **«فاياكم والتلون في دين الله فان جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقى فيما تحبون من الباطل وان الله سبحانه لم يعط احدا بفرقة خيرا ممن مضى ولا ممن بقى»**[٢]. وحيث ان عليا عليه السلام عدل القران الكريم فهو يرى عقلانية الامة منطلق وحدتها وجهلها مدعاة لاختلافها وفرقتها. ويعتبر عليه السلام ان ذلك الجهل من افرازات خبث السريرة والنوايا والذي يقود إلى الفرقة والتشتت **«وانما انتم اخوان على دين الله، ما فرق بينكم الا خبث السرائر وسوء الضمائر»**[٣]. أي ان اراد العدو ان يبث الفرقة في صفوفكم ويهيمن عليكم فانما يستغل فساد باطنكم، ولو صلحت قلوبكم لما كانت هنالك من فجوة يتسلل منه العدو لاختراق البنيان المرصوص للصف الاسلامي. وعلى هذا الاساس يتضح معنى قوله ﷺ: **«الجماعة رحمة والفرقة عذاب»**[٤].



(١) نهج البلاغة: الرسالة ٧٨.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٦.
(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١١٣.
(٤) الجامع الصغير: ج١ص١٤٤.

الفصل الثاني:

الاسلام والامن القومي

الامن من العناصر المحورية لتطلعات الحكومة الاسلامية فالامن هو السبيل لرقي الانسان في جميع المجالات. ومن هنا ما ان اقام النبي ﷺ الحكومة في المدينة حتى تحولت غارات العصر الجاهلي إلى امن واستقرار والاستئثار البدوي والانانيات إلى حضاره تضحية ومدنية ايثار. وعلى هذا الضوء اشار امير المؤمنين علي عليه السلام إلى ان الهدف من مواجهة الطغاة بسط الامن والاستقرار في ربوع البلاد وشعور المظلوم بالامان واقامة الحدود الشرعية «**اللهم انك تعلم انه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك فيامن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك**»[1]. جدير ذكره ان منطلق كلمات علي عليه السلام سيرة النبي الاكرم ﷺ فالهدف الغائي للنبي ﷺ من تاسيس الحكومة الاسلامية وفتح الحجاز لم يكن سوى هداية المجتمع وانقاذه من الجهل والضلال.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٣١.

الفصل الثالث:

الاسلام والاقتدار الوطني

القدرة والاقتدار مفهومان اساسيان في النظريات السياسية ويعد نيل القدرة وكيفية استعمالها من اللبنات الرئيسية لعلم السياسة. وهنالك بعض الفوارق بين القدرة والاقتدار رغم ارتباطهما معا. جاء في بعض التعاريف ان القدرة قابلية صاحبها على ارغام الاخرين على التسليم لارادته باي شكل من الاشكال[١].وقيل في الاقتدار انه مظهر القدرة ويدل على الطاعة. وقال البعض ان الاقتدار يعني القدرة التي تستند شرعيتها إلى السنة او القانون[٢]. فالاقتدار بناءا على كونه القدرة التي تستلزم الطاعة على قسمين: اقتدار واقعي وبالفعل واقتدار مشروع او قانوني. ونشير هنا إلى بعض الامور بشان هذين القسمين:

١ ـ يكون الاقتدار بالفعل حين يقر الفرد او مجموعة من الافراد بممارسة القدرة على انفسهم ويطيعون اوامر ذوي تلك القدرة.

٢ ـ الاقتدار المشروع او القانوني حين تكون ممارسة القدرة حق بالنسبة للافراد الذين يمارسونها ضد غيرهم. ومنشا الاقتدار في الفلسفة السياسية ربما يكون قدسية الحاكم وخصائصه الشخصية تارة وتارة أخرى العقلانية والقانونية والتي تستند إلى اعتقاد الافراد بحق الحكام الذين يتحلون بالاقتدار في ظل بعض المبادئ والقواعد. والتحلي بالقدرة من الشرائط الاساسية لنجاح كل حكومة في

---

(١) الموسوعة السياسية: ص٢٤٧.

(٢) مبادئ علم السياسة: ص٨٩.

الحيلولة دون الفوضى وتطبيق القانون وبسط العدل واقرار الامن ومنع العدوان الخارجي وتتفعل القدرة وتمارس حين تستند إلى الشرعية ويرى البعض ان العقد الاجتماعي وارادة الاخرين ملاك تلك الشرعية بينما يرى البعض الاخر ان ملاكها العدل والقيم الاخلاقية.

❖ القدرة والاقتدار

الفوارق الرئيسية بين القدرة والاقتدار يمكن ايجازها في ما يلي:

١ ـ الاقتدار مشروع وقانوني دائما بينما ربما تكون القدرة غير مشروعة.

٢ ـ يقوم الاقتدار على اساس الرضى في حين غالبا ما تستند القدرة إلى القوة والشدة.

٣ ـ يبدو الاقتدار اعمق ديمقراطية من القدرة حسب الفطرة كونه دائما قانوني ويقوم على اساس الدعم الجماهيري الواسع. ويعكس الاقتدار مدى قدرة الانسان على استيعاب الاخرين لاهدافه اما القدرة فقابلية الانسان على تغيير سلوك الاخرين[١]. وهنالك شرطان لشرعية القدرة ومراحل التمتع بها في المجتمع في الحكومة الدينية كفاءة الحاكم ورضى الامة. ونخوض هنا في بيان هذين الشرطين:

١ ـ لابد من ان يتمتع الحاكم بكفاءات فكرية ومعنوية رفيعة ليتمكن من الوقوف على اهداف النظام السياسي الاسلامي ويمارس قدرته بغية التوصل إلى تلك الاهداف حيث قال امير المؤمنين عليه السلام: «**يا أيها الناس ان احق الناس بهذا الامر اقواهم عليه واعلمهم بامر الله**»[٢]. وقال عليه السلام في خطبة أخرى بشان خصائص حاكم المجتمع الاسلامي «**وقد علمتم انه لا ينبغي ان يكون الولي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين البخيل فتكون في اموالهم نهمته ولا**

---

(١) مبادئ علم السياسة ص١٠٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٣.

الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك الامة»[١].

٢ ـ الشرط الثاني رضى الامة وان الناس ينتخبون الحاكم بصورة مباشرة او غير مباشرة الامر الذي اشار إليه امير المؤمنين عليه السلام على ان حضور الامة واسنادها ودعمها كان احد أسباب تصديه للحكومة والزعامة السياسية **«لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر ... لالقيت حبلها على غاربها»**[٢].

تنبيه: يكتسب زعيم المجتمع الاسلامي الشرعية بتوفر الشرط الاول أي الكفاءة العلمية والاخلاقية والاقتدار بمعنى ممارسة القدرة في الشرط الثاني وتبعية الامة لمن تمتع بالقدرة المشروعة ذلك لان الامة الاسلامية ترى نفسها مكلفة بقبول الزعامات المشروعة ومبايعتها وامتثال قوانينها ومقرراتها عقب معرفة شرائط الامامة والزعامة والوقوف على تحققها في فرد معين.

❖ الاقتدار الجماهيري

الاقتدار الجماهيري اقتدار ابناء المجتمع، والمجتمع مركب من الدولة والامة[٣]. ويتحقق الاقتدار الجماهيري حين تمارس كل من الدولة والامة مسؤوليتها فتتولى الامة مسؤوليتها حيال القانون والحكومة وكل ما يمت بصلة إلى هويتها الوطنية وان تلتزم الدولة بمسؤوليتها ازاء الشعب. بعبارة أخرى انما يتحقق الاقتدار الجماهيري في ظل ممارسة الدولة والامة للحقوق والواجبات ازاء بعضهم البعض الاخر **«فاذا ادت الرعية إلى الوالي حقه وادى الوالي اليها حقها عز الحق**

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٣١.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٣.
(٣) المراد من الدولة بالمعنى الشمولي وليس مجرد السلطة التنفيذية.

بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على اذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الاعداء»[١]. والخلاصة ان الرؤية الاسلامية وانطلاقا من التوحيد وحاكمية الله فان الخالق ومالك نظام الوجود هو الله والانسان عبده.والاقتدار وشرعية القدرة في النظام السياسي للاسلام تستند إلى ارادة الله وشريعته ولابد لمن يتزعم النظام السياسي ان يعمل ضمن اطار الاحكام الشرعية ومحور العدالة المعرفة في الدبن ليكون الاقتدار شرعيا وجماهيريا. والامة من جانبها ملزمة بطاعة اوامر هذه الزعامة.

❖ مميزات السلوك المقتدر

يتوقف الاقتدار الوطني على سلوكية االمسؤولين وابناء الشعب ومن هنا يجدر بنا التعرف على طبيعة الممارسات والتصرفات التي تمهد السبيل امام تحصيل القدرة وحصول الاقتدار. ونشير هنا إلى بعض مميزات السلوك المقتدر:

١ ـ السلوك المنطلق من الجزم الصائب والعزم الصالح.

السلوك المقتدر ذاك الذي يتمتع بجزم علمي صائب وعزم علمي صالح والسلوك الذي يمتزج بالشك العلمي او الترديد العملي لايسعه ضمان قدرة الامة الاسلامية. فالعزم هو الركن الاساس في الاقتدار ولا يتاتى هذا العزم الامن خلال تحاشي الرفاهية والدعة والترف على صعيد الدولة وممتلكات الشعب. قال امير المؤمنين علي عليه السلام:

«لا تجتمع عزيمة ووليمة ما انقض النوم لعزائم اليوم»[٢]. وسند هذا الكلام ما ورد في القران الكريم على لسان لقمان الحكيم ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[٣]. والحق ان الامة ستعيش

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢١٦.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢٤١.
(٣) سورة لقمان، الآية: ١٧.

الاقتدار ان تحلى افرادها بالعزم والارادة ونهضوا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومارسوا الحق والصدق والعدل وجانبوا الباطل والكذب والظلم.

٢ ـ السلوك الوحدوي

السلوك الذي يعد عنصر الاقتدار الوطني الذي يتمتع بحيثية اجتماعية بغض النظر عن بعده الفردي أي التصرف الصحيح والجميل الذي يحكم الجميع بصحته وروعته ويشددون على ضرورة ممارسته وينطلق في حدوثه وبقائه من حالة الوفاق والوحدة وهذا بحق الوفاق الوطني الذي قال فيه امير المؤمنين علي عليه السلام «**والزموا السواد الاعظم فان يد الله مع الجماعة واياكم والفرقة فان الشاذ من الناس للشيطان كما ان الشاذ من الغنم للذئب**»[١]. كما قال عليه السلام «**اياكم والتلون في دين الله فان جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقة فيما تحبون من الباطل وان الله سبحانه لم يعط احدا بفرقة خيرا ممن مضى ولا ممن بقى**»[٢]. واشار امير المؤمنين عليه السلام إلى إحدى السنن الالهية التاريخية التي تستوعب دائرة الزمان والمكان فقال «**ولاتباغضوا فانها الحالقة**»[٣]. جدير ذكره ان المصدر الرئيسي لكلمات علي عليه السلام هو الوحي الذي دعا الجميع للاعتصام بحبل الدين المتين وحذر من الفرقة وهو ذات الكلام الذي ورد في الحديث النبوي الشريف «**الجماعة رحمة والفرقة عذاب**»[٤]. وعليه يمكن استبدال ذلك العذاب بالرحمة التي هي الوفاق بالتوبة.

٣ ـ السلوك المنبعث من القلب الرباني

السلوك المقتدر ايضا ما انبعث من القلب الرباني فالقلب ان كان حرم الله

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٧.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٦.
(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٨٩.
(٤) نهج الفصاحة: ج١ص٢٠٦.

وكان موضع هبوط ملائكة الرحمة فان اقوال وممارسات وسيرة صاحب هذا القلب ستكون مصدر اقتدار الامة لان مثل هذا القلب لا يفيض سوى باثار التوحيد المتمثلة بالوحدة والوفاق وهذا ما كان عليه جميع الانبياء والائمة المعصومين عليهم السلام واولياء الله وبالعكس ان كان القلب مرتع ابليس ووسوس فيه شياطين النقمة وزينت الحق بالباطل والحسن بالقبيح فسوف لن يرشح من هذا القلب سوى ما يوهن الامة ويضعفها فمثل هذا الفرد المخدوع والمغرور لا يسمع سوى نداء الشيطان ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾[1]. ولا يعيش سوى هاجس التكبر والغرور ونموذج ذلك نمرود الذي لم يمتلك ازاء البرهان الذي اقامه ابراهيم الخليل عليه السلام ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾[2]. سوى تلك المغالطة الساذجة ﴿ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾[3]. ليزعم انه رب الحياة والممات والنموذج الاخر فرعون الذي اثار تلك المغالطة ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[4] و﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾[5]. ازاء البرهان الذي استدل به الكليم موسى عليه السلام ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[6]. والنموذج الثالث قارون الذي اوغل في تمرده وعناده ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾[7]. ازاء حكمة موسى وهارون ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[8]. ولا ينطلق هذا السلوك الاستكباري الا من قاعدة غرور وتعالي الشخص المتكبر. ولعل هذا المرض الوبيل يسري إلى صفوف المجتمع كالذي نلمسه في تعامل بني اسرائيل مع نبيهم بعد موسى عليه السلام حين طالبوه بان يبعث له ملكا ليجاهدوا تحت امرته

(١) سورة ص، الآية: ٧٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.
(٤) سورة الفازعات، الآية: ٢٤.
(٥) سورة القصص، الآية: ٣٨.
(٦) سورة طه، الآية: ٥٠.
(٧) سورة القصص، الآية: ٧٨.
(٨) سورة القصص، الآية: ٧٧.

وزعامته في سبيل الله . . . فاخبرهم نبيهم بان الله قد بعث لهم طالوت ملكا فلم ينقادوا لحكم الله واعلنوا تمردهم قائلين ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾(١). فالفرد الذي لايرى سوى نفسه ويلهج لسانه «**انا خير**» والجماعة التي لاترى سوى نفسها وشعارها «**نحن خير**» انما يتحدثون جميعا عمن خاطب الله علوا واستكبارا «**انا خير منه**» واتباع هذا المارد لا يملكون سوى اجلاس العفريت الاموي على عرش الملك العلوي وينصبون الغاصب مكان المنصب. وعلاج هذا المرض المهلك كلام امير المؤمنين عليه السلام المقرون بسلوكه «**مالابن ادم والفخر ! اوله نطفه واخره جيفه ولا يرزق نفسه ولا يدفع حتفه**»(٢). نعم ان خرج الشخص من حجاب الانا وادرك برؤيته الروحية المبدأ والمعاد وجد واجتهد في السير على الطريق جدير بالتكريم «**فمن اخذ بالتقوى . . . هطلت عليه الكرامة بعد تحوطها . . .**»(٣).

٤ ـ السلوك الخالي من الذل

ان السلوك المدعاة للاقتدار المنزه من عناصر الذل والانكسار ونشير هنا إلى بعض عناصر الذل كما وردت على لسان امير المؤمنين عليه السلام.

الاول: الطمع فحجاب الشهوة الذي غطى صفحة العقل لايدعه يشاهد نور العشق كما لايدع الحس والوهم والخيال الاستضاءة من نور العقل لان المحجوب محروم من استقطاب النور وممنوع من افاضة النور وكثيرا ما يفرز الطمع هذا الحجاب «**اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع**»(٤). ولا يكون حظ هذا الطامع الذي يذبح عزته وكرامته سوى الذل «**الطامع في وثاق الذل**»(٥).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.
(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٢٥٤.
(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٨.
(٤) نهج البلاغة: الحكمة ٢٦٠.
(٥) نهج البلاغة: الحكمة ٢٢٦.

الثاني: خشية العدو حيث قال علي عليه السلام **«الجبن منقصة»**[١] ونقصان ادراك ودافع الشخص الخائف كونه لا يمتلك الفرصة المؤاتية للتفكير ولا المجال الصحيح لاتخاذ القرار وفي ظل هذه الظروف يشن العدو حملاته فلا تملك الامة الخائفة سوى الخضوع والاستسلام. ولعل منشا الخوف في غير محله سوء الظن بوعد الله والا فالامة الموحدة الواثقة بصدق الله وعدم تخلف بشارته ووعده لاترى اختزال عوامل النصر جميعا في الوسائل الحربية والتجهيزات العسكرية بل تعتبر الالات المادية وسيلة ووفاء الله بوعده اساس الظفر والنصر **«فان البخل والجبن والحرص على غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله»**[٢].

٥ ـ السلوك المنطلق من معرفة الانسان

ان السلوك الذي يوجب الاقتدار هو السلوك الذي ينطلق من المعرفة الصائبة للانسان. فبعض الساسة والحكام ضل الطريق في معرفة الانسان إلى جانب الانحراف في الرؤية إلى العالم فهم يختزلون الانسان في الفترة الممتدة بين مولده ومماته وعالم الوجود في المادة والطبيعة ومعيار التفكير الصحيح يتمثل في الاثبات والابطال الحسي. وقد ظن هؤلاء ان الحس والوهم فكرا والشهوة والغضب دافعا واعتبروا ذلك هو العقل. انذاك انطلقت المدرسة الحسية فاقترنت في مرحلتها الاولى بالغنى عن الوحي ثم نحت في المرحلة التالية العقل التجريدي والانتزاعي من صفحة المعرفة. وما ان انبثقت النهضة الصناعية لتدون جميع القضايا العقائدية والاخلاقية والحقوقية على اساس الحس وحول محور المادة ولم يفض ذلك سوى إلى ظهور الاستعمار والاستغلال والاستحمار وتكالب الاستكبار على الامم والشعوب الضعيفة ونهب ثرواتها وخيراتها **«اضرب بطرفك حيث شئت من الناس فهل تبصر الا فقيرا يكابد فقرا او غنيا بدل نعمة الله كفرا او بخيلا اتخذ البخل بحق**

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٣.
(٢) نهج البلاغة: الرسالة ٥٣.

الله وفرا او متمردا كان باذنه عن سمع المواعظ وقرا . . .»[١]. فهذه الدولة او الامة ان انتصرت فهي لا تعيش سوى الاقتدار الكاذب والعابر.

٦ ـ السلوك المنطلق من الرؤية الشمولية

السلوك الذي يفرز الاقتدار الوطني ذاك الذي يتناول جميع جوانب حوادث الدنيا بينما يتعذر هذا الاقتدار ان اقتصرت نظرة الفرد او الجماعة على مظاهر الدنيا وغفل عن النظر إلى باطنها وستقهره الدنيا بدل ان تسخر له وتسلط عليه مواهب الطبيعة بدل ان يستغلها ويستثمرها والفرد المقهور او المجتمع المقهور لن يعيش الاقتدار قط كما ان الفرد او المجتمع الذي يعيش الرهبنة ولا يرى سوى باطن الطبيعة ويحرم نفسه من النظرة الطبيعية والدنيوية انما يغفل الاعيب الساسة ويسهو عن قضايا البلاد الاقتصادية كما قال امير المؤمنين عليه السلام **«ومن نام لم ينم عنه»**[٢]. وعليه فلابد من النظر إلى الدنيا ومظاهر الطبيعة بعينين باطنية وظاهرية دون النظر كالاعمى او الاعور او الاحول فانها نظرة ليست واقعية في حين لا يتاتى الاقتدار الوطني الا في ظل النظرة الواقعية. فللرؤية الجامعة والمعرفة التامة تاثيرها في كافة شؤون الانسان كما لها دورها حتى في ادابه ومعارفه. مثلا للعمى والبصر معنى ضيق بالنسبة لمن اختزل الوجود في عالم الطبيعة وكانت مباني معرفته حسية ولا يعتمد على اثبات العقل والقلب وابطاله بينما تبدو واسعة جدا لمن كانت مبانية المعرفية تامة وكاملة ورؤيته تتجاوز عالم الطبيعة فالعمى في قاموس الانسان الحسي النزعة انما يطلق على من لايرى مظاهر الطبيعة وتفاصيل الدنيا المحسومة الا ان هذه المفردة تطلق في قاموس العقلانية على من يقتصر بنظره على مظاهر الطبيعة ويغض الطرف عن رؤية باطنها وما وراءها. فهذا الشخص كذلك الذي لايرى مظاهر الطبيعة اعمى وان اختلفت درجة العمى قال علي عليه السلام **«وانما الدنيا منتهى**

---

(١) نهج االبلاغة: الخطبة ١٢٩.

(٢) نهج البلاغة: الرسالة ٦٢.

بصر الاعمى لا يبصر مما ورائها شيئاً والبصير ينفذها بصره ويعلم ان الدار ورائها فالبصير منها شاخص والاعمى اليها شاخص والبصير منها متزود والاعمى منها متزود»[١]. وما ورد بشان مفردة البصر والعمى يجري في السمع والصمم وسائر المفردات الدارجة في الاداب اللغوية. وهكذا فان الثقافة العلوية مصدر اقتدار ذلك لانها تسبغ رؤية واسعة وعميقة علة المجتمع، فهو بعيد عن الخداع والانخداع قال النبي ﷺ «**المكر والخداع والخيانة في النار**»[٢]. ولابد هنا بعد اتضاح مفردة البصر والعمى من الالتفات إلى عنصرين محوريين: احدهما العنصر الذي يؤدي إلى ظهور هذا المرض والذي يعبر عنه بالعمى والاخر عنصر علاج هذا المرض.

١ ـ عنصر ظهور مرض العمى: لابد من الالتفات إلى ان الله خلق كل انسان بصيرا ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[٣]. ومعتدلا بمقتضى فطرته وفطنته ليرى باطن الامور كظاهرها. وبالطبع فان السبب الوحيد الذي يعمي الانسان تهافته على الدنيا وانغماسه في الذنب والمعصية «**من ابصر بها بصرته ومن ابصر اليها اعمته**»[٤].

٢ ـ عامل علاج ظاهرة العمى: لابد من السعي لغسل غبار الدنيا وازالته عن القلب والقضاء على رين الخلود إلى الطبيعة واثارة دفائن العقل لفتح البصر والبصيرة بالحكمة والنظر إلى الامور كما هي «**الحكمة التي هي حياة للقلب الميت وبصر للعين العمياء وسمع للاذن الصماء ... كتاب الله تبصرون به وتسمعون به وينطق بعضه ببعض ويشهده بعضه على بعض**»[٥]. فالانفتاح على القران وتدبر المضامين النبوية والعلوية وتامل البراهين العقلية وتفعيل ارشادات العقل والنقل له دوره المشهود في اولا: احياء القلب وثانيا يقظته واثارته وثالثا في سمعه وابصاره.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٣٣.
(٢) نهج الفصاحة: ج١ص٢٨٥.
(٣) سورة الشمس، الآية: ٨.
(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٨٢.
(٥) نهج البلاغة: الخطبة ١٣٣.

٧ ـ السلوك الملكوتي

ان السلوك الذي يمهد السبيل امام الاقتدار الجماهيري والوطني هو ذلك السلوك الملكوتي المعجون بمضمون الدين على كافة الصعد الفردية والاجتماعية وان لايشوبه الجمود والتقوقع والتحجر ذلك لان الموجود المادي دون الروح الملكوتية لن يكون قط مظهرا لله المقتدر ليتسنى له بالتالي ممارسة قدرته حيث موضعها ويتحاشى مخاطر الافراط والتفريط واللجوء إلى الانتقام بدل الصفح والعقاب بدل الثواب. والشخص الذي يتحلى باتزان القدرة ويتصرف على ضوء العدل يسعه ان يقول ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[١]. وسر تاثير الدين على كافة جوانب الانسان كونه يجعل الانسان مسؤولا في كل ان من حياته وان اولى الاسئلة التي ينبغي عليه الاجابة عنها عقيب موته تتمثل في شبابه وعمره كيف افناه وامواله من اين جمعها وفيم انفقها. ومن هنا ذهب بعض الاعلام إلى ان اعظم موعظة اكتسبوها من تجاربهم واعمارهم المديدة تكمن في ذكر الموت. ولهذا الذكر دوره الحيوي في تفجير طاقات الانسان المادية والمعنوية. فالموت في الثقافة العلوية الت يتمثل الوحي بعينه يعد ولادة متجددة وهجرة حيوية. جدير ذكره ان مفردة الموت بمثابة الافيون في جميع المدارس غير الدينية وعادة ما يختزن ذكر الموت فيها الشؤم والكابه. ودوره المحرك والحيوي انما يقتصر على المدرسة الدينية. وعلى هذا الاساس يتضح ان الدين ليس افيون بل ابعد من ذلك من شان الدين ان يحيل ما كان افيونا لدى الاخرين إلى عنصر حركة ونشاط. ومن هنا قال رسول الله ﷺ **«الاسلام يعلو ولا يعلى عليه»**[٢].

---

(١) سورة الانعام، الآية: ١٦٢.

(٢) بحار الانوار: ج٣٧ ص٤٩ح١٥.

الفصل الرابع:

قيمة العمل وكرامة العامل في الاسلام

الاسلام دين العمل والنشاط والحركة ويناهض الكسل والبطالة. ومنطق القران منطق العمل وان نجاح الانسان وتوفيقه رهينة عمله، سواء التوفيق المعنوي والاخروي او المادي والدنيوي ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾[١]. وطالما كان الاسلام دين العمل فلابد من الخوض هنا في قيمة العمل في الاسلام ومن ثم نتطرق إلى كرامة العامل.

❖ قيمة العمل في الاسلام

العمل سر الخليقة وحكمة الوجود في النظام الاسلامي. فالانسان يكشف بالعمل عن مكنونه الوجودي ويبرز كنوزه من خلال السعي والحركة ويفصح عن اعتباره بجهده ومثابرته. فقد خلق الله الانسان واستودعه الروح التي نسبها إليه ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[٢]. وسخر له كل ما كان ضرورة لرقيه وسموه وكماله المادي والمعنوي ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٣]. واثنى عليه بصفته اكرم المخلوقات ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٤]. وقد نعت

(١) سورة النجم، الآية: ٣٩-٤١.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٩.
(٣) سورة لقمان، الآية: ٢٠.
(٤) سورة الاسراء، الآية: ٧٠.

الدين هذا الانسان بالكرامة ليخوض في عمارة الارض ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾[١]. وليقف على حكمته الوجودية وينال كرامته النفسية. فعزة وكرامة واستقلال كل امة مرهون بهمتها وسعيها وعملها، كما ان ضعة كل امة وليدة تقاعسها وكسلها وخلودها إلى الراحة والدعة. ولا تقتصر دائرة العمل على مجال معين بل تمتد لتغوص غي اعماق البحار وتعانق اعالي السماء ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾[٢]. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣]. كما لا يقتصر العمل على المجهود البدني بل العالم الذي سيسهم بعمله وابحاثه فيحل مشاكل المجتمع العلمية والطبيب الذي يعالج المرضى والمهندس الذي يصمم المشاريع وطالب العلوم الذي يتحمل الصعاب في هذا المجال لمن المصاديق الواضحة للعمال سوى الفارق في قيمة اعمالهم.

❖ العمل والعزة

ان عزة ورفعة كل انسان ثمرة ايمانه بالله والمؤمن عزيز ولابد ان يسعى دائما لحفظ عزته والعمل احد مسائل نيل العزة وبلوغ الاستقلال المادي. ومن هنا عبر ائمتنا عليهم السلام عن العمل بالعزة. قال الامام الصادق عليه السلام لاحد اصحابه «**اغدوا إلى عزك**»[٤]. قال «**عبد الاعلى**» احد اصحاب الامام الصادق عليه السلام انه خرج في يوم شديد الحرارة فشاهد الامام عليه السلام في احد طرق المدينة وهو يعمل فانكر عليه ذلك بما له عند الله من مقام ونسبه من النبي صلى الله عليه وآله فساله عن علة خروجه. فاجابه عليه السلام

---

(١) سورة هود، الآية: ٦١.
(٢) سورة الملك، الآية: ١٥.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٤.
(٤) وسائل الشيعة :ج١٧ص١٠.

«خرجت في طلب الرزق لاستغني عن مثلك»[1]. من جانب اخر فان الاسلام تصدى بشدة للكسل الذي لايقود سوى إلى الذل والخنوع. حيث جاء في الخبر **«اياك والكسل»**[2]. و(افة النجح الكسل﴾[3]و **«اياك والكسل والضجر فانهما مفتاح كل شر»**[4]. وقال علي عليه السلام **«من وجد ماء وترابا ثم افتقر فابعده الله»**[5]. فالروايات المذكورة تدعو الانسان إلى السعي والمثابرة واجتناب البطالة. وقال الامام الصادق عليه السلام **«طلب الحوائج إلى الناس استلابللعز مذهبة للحياء»**[6].

❖ اسناد العمل لله

يمكن استنتاج اهمية العمل واعتباره من خلال اسناده لله تعالى فقد نسب القران الكريم اتيان الله بالعديد من الاعمال حتى صرحت بعض الايات بصيغة جامعة وساملة قائلة ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[7]. واعمال الله ليست شبيهة لبعضها البعض الاخر ولا تعرف التكرار لانه في حالة ايجاد دائما والكل محتاج إليه لا ينقطع عن سؤاله ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[8]. ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾[9].

❖ ضوابط العمل

جعل الاسلام بعض الضوابط والمقررات بغية تنظيم شؤون المجتمع

---

(١) الكافي: ج٥ص٧٤.
(٢) الكافي: ج٥ص٨٥.
(٣) شرح غرر الحكم: ج٣ص١١٢.
(٤) بحار الانوار: ج٧٥ص١٧٥ح٥.
(٥) بحار الانوار: ج١٠٠ص٦٥.
(٦) الكافي: ج٢ص١٤٨.
(٧) سورة الرحمن، الآية: ٢٩.
(٨) السابق.
(٩) سورة ابراهيم، الآية: ٣٤.

والنهوض باقتصاده والتي تلبي في ظلها متطلبات المجتمع المادية والروحية، توجز في ما يلي:

١ ـ التخصص والالتزام

لا شك ان التخصص والالتزام مؤثران في تطوير العمل كما وكيفا فلانسان المتخصص والملتزم يتحلى بالانضباط والوجدان العملي في ممارسته لمسؤوليته والله يحب هذا الانسان «**ان الله عز وجل يحب المحترف الامين**»[١]. ويبغض من يتصدى لعمل وليس لديه الكفاءة والالتزام. قال رسول الله ﷺ «**فمن دعى الناس إلى نفسه وفيهم من هو اعلم منه لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»[٢]. والمجتمع الذي لايقلد العمل لذوي الكفاءة انما ينحدر إلى الاسفل ويعيش حالة من التقهقر. قال النبي ﷺ «**ما ولت امة امرها رجلا قط وفيهم من هو اعلم منه الا لم يزل امرهم يذهب سفالا حتى يرجعوا إلى ما تركوا**»[٣]. والالتزام في العمل يدعو الانسان لاختيار العمل الذي يحتاجه المجتمع ويصب في صالح اقتصاده العام واجتناب العمل الكاذب الذي ربما يدر عليه بعض الارباح لكنه يشل اقتصاد المجتمع.

٢ ـ اتقان العمل

ليس هنالك من اعتبار للعمل دون الالتفات إلى ضوابطه ومعطياته. والانسان يتقن عمله اذا ما شعر انه يهدف إلى تلبية حاجات المجتمع وتحسين ظروفه الاقتصادية. فقد قال النبي ﷺ بعد ان اتقن عملا اعلم ان مصيره الخراب «... **لكن الله يحب عبدا اذ عمل عملا احكمه**»[٤]. والاسلام ذم الخيانة والغش في

---

(١) الكافي: ج٥ص١١٣.
(٢) بحار الانوار: ج٢ص١١٠.
(٣) بحار الانوار: ج١٠ص١٤٣.
(٤) بحار الانوار: ج٦ص٢٢٠.

العمل الامر الذي نهى عنه القران بصورة عامة ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾[١]. وهذا يشمل بالتاكيد قانون العمل سواء كان العمل ماديا او معنويا.

٣ ـ الاستقامة في العمل

دعا الله تعالى في كتابه العزيز النبي ﷺ والمسلمين إلى الاستقامة في العمل ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[٢]. ويظهر في ايات القران ان الاستقامة توجب اطمئنان القلب[٣] وسعة الرزق[٤]. ولا ينبغي الشعور بالياس قط من الظفر باسلوب العلاج، ذلك لان تواصل السعي والجهد لابد ان يسفر عن نتيجة. قال علي عليه السلام «من طلب شيئاً ناله او بعضه».

٤ ـ الاخلاص في العمل

رغم ما يلزم العمل من تقوية البنية الاقتصادية والقضاء على الاستغلال الاجنبي لثروات البلاد الاسلامية وبلوغ الاستقلال، الا ان التعاليم الدينية حيث على ان يعمل الانسان بقصد امتثال امر الله. فالاخلاص يفعل صبغة العمل العبادية ويقضي عليه هالة من القدسية. قال علي عليه السلام «اخلصوا اذا عملتم»[٥].

٥ ـ اختيار العمل المناسب

ان لحرفة كل فرد تاثير مباشر على اخلاقه وسلوكه والشخص الطامع الذي لا يتانى في اختيار العمل المناسب فانما يضر نفسه قبل غيره ويحطم شخصيته

---

(١) سورة الاعراف، الآية: ٨٥.
(٢) سورة هود، الآية: ١١٢.
(٣) سورة الجن، الآية: ١٦.
(٤) نهج البلاغة: الحكمة ٣٨٦.
(٥) شرح غرر الحكم: ج٢ ص٢٣٩.

الانسانية. ولا يمكن للانسان الذي يمارس عملا غير مشروعا ان يتحلى بروحية شريفة. والعمل الحسن والمشرف لا يحل مشاكل المجتمع إلى جانب تعالي روحية الانسان واخلاقه. قال الامام الصادق عليه السلام «ان الله يحب معالي الامور ويكره سفائفها»[1].

وقد روى الحسين عليه السلام ما يشبه هذا المضمون عن النبي صلى الله عليه وآله ويعتبر الاسلام بعض انواع الشغل واجبة واخرى محرمة وبعضها مستحب وبعضها الاخر مكروه، وان احد حقوق الابناء على ابائهم اختيار ما يناسبهم من شغل[2].

٦ ـ التفكير الصائب في طليعة العمل

ربما يمارس الانسان المتخصص حرفة، لكنه يتناسى اختصاصة في بعض الاعمال، في حين لايبدو العمل مستقيما مالم يخضع لتخطيط وبرمجة. قال علي عليه السلام «قدر ثم اقطع وفكر ثم انطلق وتبين ثم اعمل»[3] فالتصدي لعمل بغية النهوض بالاوضاع الاقتصادية مرهون بالتزام العامل عمليا حتى لا يضيع شيئاً إلى جانب التزامه العلمي والتخصصي وهذا ما نلمسه في القران الكريم الذي صرح بشان يوسف عليه السلام في تصديه لشؤون مصر الاقتصادية في ذلك العصر الذي سادته الاوضاع الاقتصادية العصيبة كالقحط والجفاف والتضخم الاقتصادي ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[4].

٧ ـ العمل الهادف

ان العمل يتبلور بصيغة فن حديث اذا تخلص من اللامبالاة والتقاعس وتقصي

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٧ ص ٧٣.
(٢) السابق: ج٢١ ص٣٩٠.
(٣) شرح غرر الحكم: ج٤ ص٥٠٦.
(٤) سورة يوسف، الآية: ٥٥.

الهدف المطلوب. وبما ان ديمومة حياة العامل ومسؤوليته رهينة عمله الهادف والمقنن وان كل انسان يسعى للشهرة فلابد من هذه الامور :

١ ـ ان لا يكون العمل من اجل العمل بل ينبغي إلى تحقيق هدف معين.

٢ ـ ان يكون ذلك الهدف معقولا ومقبولا لدى المجتمع الانساني.

٣ ـ ان تضفى الصبغة الدينية على العمل ويكون ملبيا لطموح ابناء المجتمع.

❖ مكانة العامل في الاسلام

ان احد اهم المبادئ الاقتصادية وجود الطاقة البشرية الفاعلة بغية تنشيط الحركة الاقتصادية وتذليل مصاعب العيش إلى جانب كونه من الاركان الرئيسية لاستقلال كل امة الا ان هذا الجانب ثانوي في منزلة العامل. فالعامل في الاسلام انسان شريف يسهم بشكل فاعل في ضمان معيشة ابناء المجتمع وتحقيق الرخاء الاقتصادي بفضله السبيل لنيل الكرامة.

❖ مظاهر خلق الله

ان العالم وما ينطوي عليه من ظواهر وكائنات تجليات لفعل الله تبارك وتعالى فالله تعالى مبدأ كل فعل في العالم ولا تتحقق ادنى حركة دون ارادته. فهو يعمل ايضا ويلبس الاشياء على الدوام حلة الوجود ويتواصل وجودها بتدبيره. والعمال مظهر خلاقية الله وهم القوة الفاعلة والمؤثرة في حياة المجتمع وسعادته. فعجلة الاقتصاد انما تدار من قبل السواعد القوية للعمال وبالتالي هم عصب حياة الامم والشعوب.

❖ كرامة العامل

لايمكن مقارنة الكرامة التي يراها الاسلام للعامل بما سواها من الاجر

والقيمة المادية؛ ذلك ان رسول الله ﷺ للانسان الكامل خاتم الانبياء ومعلم الملائكة قبل يد العامل. فلما عاد رسول الله ﷺ من تبوك استقبله سعد الانصاري، فصافحه ﷺ وراى في يده بعض الخطوط فساله عن ذلك. فاجابه ان ذلك من اثر الحبل والمسحاة ليكد على عياله. فقبل ﷺ يده وقال «هذه يد لا تمسها النار»[١]. ولعل هذا الكلام وذلك الفعل يعكس مدى الاحترام الذي يكنه الاسلام للعامل. يذكر ان عليا عليه السلام راى رجلا يتكدى، فسال ما هذا؟ قيل: رجل نصراني فقال عليه السلام «استعملتموه حتى اذا كبر وعجز منعتموه ! انفقوا عليه من بيت المال»[٢].

❖ العامل في مصاف المجاهد

ان المجاهد في سبيل الله يهب المجتمع بجهاده وتضحيته امته السياسي / الاجتماعي، بينما يهبه العامل بكفاحه وجهده استقلاله الاقتصادي ويذلل له عناء المعيشه، ولعل هذا هو السبب في تشبيه العامل بالمجاهد في سبيل الله كما ورد في رواية الامام الصادق عليه السلام الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله[٣]. كما قال عليه السلام «اذا كان الرجل معسرا فيعمل بقدر ما يقوت به نفسه واهله ولا يطلب حراما فهو كالمجاهد في سبيل الله»[٤]. وقال الامام الرضا عليه السلام «الذي يطلب من فضل الله عز وجل ما يكف به عياله اعظم اجرا من المجاهد في سبيل الله عز وجل»[٥]. كما روي ان قوام مختلف طبقات المجتمع بما فيها القوات المسلحة وقوى الامن والقضاء و. بالطبقة العاملة، ومن هنا ورد حث الحاكم الاسلامي على الاعتناء بهذه الطبقة «واعلم ان الرعية طبقات لايصلح بعضها الا ببعض ولا غنى ببعضها عن

---

(١) اسد الغابة: ج٢ ص٤٢.
(٢) التهذيب: ج٦ ص٢٩٢.
(٣) الكافي: ج٥ ص ٨٨.
(٤) السابق.
(٥) االسابق.

بعض . . . . ولا قوام لهم جميعا الا بالتجار وذوي الصناعات»[١].

وهذه الكلمات توضح منزلة العامل في الاسلام وتهبه روحية ملكوتية مفعمة بالنشاط والحيوية حتى لا يالوا جهدا في السعي والعمل والانتاج وتحقيق الاستقلال الاقتصادي وتلبية متطلبات المجتمع وحاجياته. ونخوض الان بعد ان اتضحت مكانة العامل في الاسلام في بيان بعض حقوق العامل على رب العمل.

أ ـ الاتفاق المسبق

لابد ان يتم الاتفاق والتعاقد فور العزم على التوظيف.وعليه فالاستخفاف بالقوة العاملة والتقليل من شان اهمية العمل والجبر وعدم انسجام الاجرة مع العمل و . . . . تتعارض والجوانب الانسانية والخلقية من جهة وتؤثر سلبا على كمية وكيفية العمل من جهة أخرى. ومن هنا ذكر الفقهاء رضى العامل ورغبته على انه احد شرائط صحة ومشروعية التوظيف والاستفادة من القوة العاملة[٢].

ب ـ تعيين الاجرة

لابد من التزام طرفي العمل بكافة بنود الاتفاق المدونة او المتفق عليها. فالاسلام يقول من اراد ان يستعمل احدا فعليه ان يعين بادئ الامر الاجرة ليتسنى للعامل القبول والمباشرة بالعمل ان اقتنع بالاجرة، حيث ورد في الحديث «نهى رسول الله ﷺ ان يستعمل اجيرا حتى يعلم ما اجرته»[٣].

ج ـ التعجيل في دفع الاجرة

حثت التعاليم الاسلامية ارباب العمل على التعجيل في دفع اجور العمال قبل

---

(١) نهج البلاغة: الرسالة ٥٣.
(٢) تحرير الوسيلة:ج١ ص ٥٧١.
(٣) وسائل الشيعة: ج١٩ ص١٠٥.

المطالبة. فالاسلام يقول: اعط الاجير اجره قبل ان يجف عرقه، ولا يجوز التاخير في الدفع. قال الامام الصادق عليه السلام بشان العمل والجمال «لا يجف عرقه حتى تعطيه اجرته»[١].

فمسارعة رب العمل لدفع الاجرة تزيل عن العامل ما الم به من تعب روحي وبدني وتضاعف من نشاطه وحيويته. وبالمقابل فان تباطئ رب العمل في دفع الاجرة ينطوي على اثار سلبية.

وعلى هذا الضوء ذم الاسلام بشدة التساهل في دفع الاجور حتى عده من الذنوب التي لا تغفر وتحرم الانسان من الشمول برحمة الله وشم رائحة الجنة[٢]. قال النبي صلى الله عليه وآله «من منع اجيرا اجره فعليه لعنة الله»[٣]. وقال «ان الله غافر كل ذنب الا من احدث دينا ومن اغتصب اجيرا اجره او رجل باع حرا»[٤]. إلى جانب ذلك حث الاسلام العامل على بعض الامور المتعلقة بمهنته الشريفة بغية النهوض بمستوى العمل والرفع من شان العامل توجز في ما يلي:

١ ـ الدافع الرباني

ينبغي ان يسعى العامل لئن يكون جهده وعمله مطابقا للشريعة وتعاليم الانبياء. ذلك ان ذات العمل يمكنه ان يكون طاعة وعبودية، ولابد ان تهدف الطاعة للتقرب إليه سبحانه، كما ان كان شغل العامل انسانيا يهدف إلى تامين حاجات المجتمع قرن هدفه بالتقرب إلى الله. قال علي عليه السلام «واخلص لله عملك»[٥].

(١) وسائل الشيعة: ج١٩ ص١٠٤.
(٢) وسائل الشيعة: ج١٩ ص١٠٧.
(٣) السابق ص١٠٨.
(٤) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٥٥.
(٥) شرح غرر الحكم: ج٢ ص٢٠٩.

٢ ـ الهمة في الانتاج والقناعة في الاستهلاك.

تتوقف عزة وكرامة كل امة على علو همتها، كما قال امير المؤمنين علي عليه السلام ان العزة على قدر الهمة[١] وان العمل الحسن يعكس علو الهمة[٢] وقيمة الانسان على قدر همته[٣]. وينبغي على العامل ان يبذل قصارى جهدة في الانتاج بحيث يصرفه علو همته في الانتاج عن الطمع في الاستهلاك. والقناعة في الاستهلاك كالهمة في الانتاج مدعاة لعزة ورفعة الفرد والمجتمع. قال رسول الله صلى الله عليه وآله «من قنع بما رزقه الله فهو من اغنى الناس»[٤] وقال علي عليه السلام «بالقناعة يكون العزة»[٥] والحذر من القناعة في الانتاج والهمة في الاستهلاك الامر الذي لايؤدي سوى إلى الكسل والخمول وبالتالي الضعة والذلة والتبعية للغير.

٣ ـ الامتناع عن العمل

لا ينبغي ان يمتنع العامل عن الاتيان باي عمل مفيد ويرى نفسه اجل شانا من ذلك العمل، فهذا ديدن الانبياء والاولياء. فالنبي ادريس عليه السلام كان يخيط الثياب وكان نبي الله نوح عليه السلام نجارا وابراهيم الخليل عليه السلام وموسى الكليم عليه السلام كانا رعاة، كما عمل رسول الله صلى الله عليه وآله بالرعي والتجارة، وكان علي عليه السلام يحفر الابار ويزرع و.... قال علي عليه السلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخصف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه». وقال عليه السلام بشان نبي الله داود عليه السلام ان الله اوحى إليه انك نعم العبد لولا انك تاكل من بيت المال فبكى داود اربعين يوما فالان الله له الحديد فكان يصنع منه الدروع ويبيعها بالف درهم»[٦].

---

(١) شرح غرر الحكم: ج٢ ص١٠٦.
(٢) السابق: ج١ ص ٣٦٥.
(٣) السابق: ج٤ ص٥٠٠.
(٤) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٣٥٨.
(٥) شرح غرر الحكم: ج٣ ص٣٢٤.
(٦) الكافي: ج٥ ص٧٤.

٤ ـ التبكير في العمل

ان من وظائف العامل وادب العمل التبكير في مباشرة العمل ذلك لانه يتمتع أول النهار بحيوية اكبر ونشاط اعظم وعلى هذا الاساس سوف ينال مزيدا من النجاح. قال رسول الله ﷺ «اللهم بارك لامتي في بكورها»[١]. وروى عن الصادق عليه السلام انه قال «**اذا فرغت من فريضة الصبح فبكر لطلب الرزق**»[٢].

٥ ـ الاعتدال في العمل

الافراط والتفريط في كل شيء قبيح وقد حث الاسلام على الاعتدال في جميع الامور كما وصف القران الكريم الامة الاسلامية بالامة المعتدلة ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[٣]. فهي ليست كتلك الامة التي ركزت على الرهبانية والجانب الروحي والتخلي عن الكمالات الجسمية ولا كتلك التي استفرغت جهدها في الجانب الجسمي والانغماس في الحياة الدنيا وزخارفها، بل هي امة معتدلة ووسط لتكون شهيدة على الناس. والعامل ينبغي ايضا ان يكون معتدلا في العمل فيبتعد عن الكسل والبطالة ويجتنب الجهد المفرط والذي لاطائل من ورائه.

والحرص والجهد المتواصل الذي يصد الانسان عن الراحة والعبادة قبيح ومضر. ولا بد من الالتفات إلى ان كسب الرزق لا يتوقف على كثرة العمل ومضاعفة السعي والجهد، بل هنالك ارادة وحكمة عادلة لله في تقدير الرزق. قال رسول الله ﷺ «أيها الناس ان الرزق مقسوم، لن يعدو امرء ما قسم له فجملوا الطلب»[٤]. طبعا التقدير الالهي يرتبط بالتدبير البشري أي ان التقدير الالهي في ان

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج١ص٤٢٥.
(٢) الكافي: ج٥ص٧٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.
(٤) بحار الانوار: ج١٠٠ ص٢٦.

الشخص اذا سعى على اساس التدبير والاقتصاد فانه يتلقى سهمه المخصص، بينما يحرم منه ان تخلى عن ذلك التدبير والاقتصاد.

٦ ـ الابتعاد عن الكسب الحرام

العمل طاعة الله وعبوديته ولا ينبغي خلط ما من شانه ان يقرب العبد إلى الله ويكتسب صبغة عبادية بالحرام. من جانب اخر فان الرزق ينزل بقدر معلوم فلا يجوز بالانسان ان يطلبه عن طريق الحرام. قال تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾[(١)]. وقال رسول الله ﷺ «من طلب الدنيا حلالا في عفاف كان في درجة الشهداء»[(٢)]. وقال الامام الصادق عليه السلام ان الله خلق الناس وقدر ارزاقهم من الحلال. فمن كسب شيئاً من الحرام نقص من رزقه الحلال. فما اجدر بالعامل الكادح الذي يتجشم كل هذا العناء ويفخر بتقبيل اعظم الانبياء واسمى انسان كامل ليده ان لا يتجاوز حدود الشرع الذي ثبت بالعقل والنقل ولا يشوب عمله بالحرام ويتحلى بالامانة فيظفر بالقيم المادية والمعنوية.

٧ ـ اثار الكسب الحرام على الجيل

رغم ان الروح مجردة، الا ان تاثرها سلبا وايجابا ببعض الاثار بفعل ارتباطها الوثيق بالبدن مما لا يسع المرء انكاره، ذلك لان الطعام الحلال والحرام مثلا يتبلور في المستقبل القريب بصيغة رؤية علمية او نزعة فكرية ويكون سببا للجزم الصائب او العزم الصحيح او السقيم، فتظهر في الولد الذي يحمل الصفات الوراثية البدنية والروحية لوالديه، ولعل الاية الكريمة ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[(٣)]. اشارة إلى جانب من هذا المضمون. ومن هنا قال الامام الصادق عليه السلام «كسب الحرام يبين في الذرية»[(٤)].

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٨.
(٢) المحجة البيضاء: ج٣ص٢٠٣.
(٣) سورة الاسراء، الآية: ٦٤.
(٤) وسائل الشيعة: ج١٧ص٨٢.

٨ ـ الابتعاد عن التبعية

العمل مظهر العامل، فان كان العمل لاخر فكان روح العامل تابعة لارادة رب العمل. والتبعية للاخرين تسلب حرية العامل وتهدد استقلاله. وعلى هذا الضوء لا ينبغي لبس العمل في الاسلام الذي يتمتع بفضيلة رفيعة وتكريم الله بالتبعية للغير التي تصادر حرية العامل واستقلاله. ومن هنا قال الامام الصادق عليه السلام بهذا الشان «من اجر نفسه فقد حظر على نفسه الرزق وكيف لا يحظره وما اصاب فيه فهو لربه الذي اجره»[١]. ولذلك يجدر بالعامل ان يتحلى بعلو الهمة وعدم المساس والاساءة للعمل الشريف، كما ينبغي على المسؤولين في النظام الاسلامي ان يوفروا الارضية الخصبة لاستقلالهم الاقتصادي ليتخلص العمل والعامل مما يسيئ إليه ويحط من قدره.

٩ ـ الالتفات إلى الصبغة العبادية في العمل

التوجه إلى عبادية العمل تثير النشاط والحيوية والحركة لدى العامل. فالعامل مشغول بالعبادة حين انهماكه في العمل، ذلك لان العمل في الاسلام يتمتع بجانب عبادي وبعد قدسي، فالكسب الحلال يعتبر من اسمى العبادات. قال النبي صلى الله عليه وآله «العبادة سبعون جزءا افضلها طلب الحلال»[٢]. ومن هنا ورد الحث على ان يستهل العامل عمله بالوضوء وطهارة الباطن بغية الظفر بمزيد من التوفيق والنجاح. قال الامام الصادق عليه السلام «من ذهب في حاجة على غير وضوء فلم تقض حاجته فلا يلومن الا نفسه»[٣]. والائمة المعصومون عليهم السلام كانوا يبدون رغبة في العمل رغم استغراقهم في العبادة والدعاء، وكانوا يذمون بشدة البطالة والنكول عن العمل، ذلك ان الله لا يحب العاطل «ان الله ليبغض العبد الفارغ»[٤]. قال احد اصحاب

---

(١) السابق ص٢٣٨.
(٢) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٢١.
(٣) وسائل الشيعة: ج١٧ ص ٧٩.
(٤) وسائل الشيعة: ج١٧ص٥٨.

الامام الصادق عليه السلام رايته عليه السلام مشغولا بعمل فسالته ان اقوم به مكانه فقال عليه السلام «دعوني فاني اشتهي اني يراني الله عز وجل اعمل بيدي واطلب الحلال في اذى نفسي»[١].

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٧ ص٤٠.

الفصل الخامس:

الاسلام والسلام العالمي

يرى الاسلام بفعل شموليته وخلوده انه اعظم زعيم للسلم العالمي، ولذلك من الضروري عرض صورة واضحة ومقتضية لمعنى الاسلام والسلام والشمولية وتفاصيلها التصورية والتصديقية بغية الالتفات اليه من قبل عامة المجتمعات العالمية المعاصرة ولاسيما اساتذة المراكز والمؤسسات الثقافية وبالاخص زعماء الدين ورموزه ... فالاسلام اهم عنصر حيوي للمجتمعات البشرية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[1]. وسوف لن تكون هناك حياة انسانية ـ التي تفوق الحياة الطبيعية ـ دون سلام عادل. والاسلام كونه يختزن الحياة والسلام يسعه اشاعة وتزعم السلام العالمي، ومن هنا وصف الرسول الكريم ﷺ بالرحمة الشمولية ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[2] والسلام العالمي من المظاهر البارزة لهذه الرحمة. والسلام هو الدين الوحيد الذي نزل على خاتم الانبياء ﷺ والذي تجلى فيه كل ما ورد في صحف ابراهيم وزبور داود وتوراة موسى الكليم وانجيل عيسى عليه السلام بصيغة جامعة وكاملة في القران الكريم والقران هو الفيصل في مدح الاديان وذمها، والذي اشار إلى وحدة الدين الالهي ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[3] ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[4] كما بشر ايضا بتكثر

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

المنهج والشريعة «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا» وسر وحدة الدين ثبات فطرة الانسان واتحادها ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾(١) كما ان سر كثرة المناهج والشريعة تغير طبيعة البشر طيلة التاريخ فالاسلام ينطوي على مبادئ ثابتة والسلام يلبي فطرة الانسان الثابتة، كما يحمل مناهج وشرائع متنوعة ومتعددة حيث يغذي السلام الطبيعة المتغيرة للبشرية. والاسلام ببيانه لتصالح الاديان والانبياء والاولياء وتسالم وتضامن الامم والشعوب نصب صراط السلام العالمي امام السائرين على طريق التعايش السلمي لتعيش الدول مع بعضها والشعوب مع بعضها والدول مع شعوبها بصورة سلمية وتصون حقوق الانسان ولاسيما حقوق الاطفال والنساء والعجزة من تطاول الطغاة. اما تصالح الاديان فكونها نازلة جميعا من الله الواحد الاحد، وكل ما ينزل من الحكيم تبارك وتعالى مصان من التنازع والاختلاف ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾(٢). وعلى هذا الاساس ليس هناك من دين فيه اختلاف باطني ولا اختلاف ظاهري مع سائر الاديان، كيف لا وهذه الاديان تنطلق من جانب الله الحكيم الواحد. واما تصالح الانبياء والرسل فلعصمتهم من السهو والنسيان العلمي وحصانتهم من العصيان العلمي. ومن هنا فان سنة الرسول السابق التبشير بقدوم الرسول اللاحق، وسيرة الرسول القادم تصديق الرسول السابق ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ. . .﴾(٣). وتصالح امم واقوام الانبياء كون تبعيتها للانبياء والرسل تسوقها إلى الوئام والسلام الذي يحول دون الخصام والنزاع. ومن هنا يرى القران الكريم جميع الامم بمثابة الامة الواحدة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨.
(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠.
(٣) سورة النساء، الآية: ٨٢.
(٤) سورة الصف، الآية: ٦.

إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾[١]. وعلى هذا الاساس يمكن الاصغاء إلى نداء السلام العالمي المنطلق من حنجرة الوحي السماوي ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[٢] فليس المراد من القول هنا ما يقابل السلوك بل المراد من القول المراة العاكسة لجميع الشؤون الاجتماعية كما ليس المراد من الناس مجموعة معينة من البشرية ﴿... فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ...﴾[٣] اي ان التطفيف المحرم لا يقتصر على القضايا الاقتصادية بل هي حرمة شاملة تطال جميع القضايا البشرية وكل ما يمت بصلة لمنفعة و... مرتبطة بالطبيعة من اماق البحار حتى اعنان السماء واردف ذلك بتحريم كافة انواع الفساد ﴿... وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٤]. فعدم الاستسلام للفساد لايكفي لوحدة لتحقيق السلم العالمي بل لابد من الحيلولة عن كافة اشكال التعدي والتجاوز ولا فان الفساد اساس ضعف المراكز العبادية ـ الثقافية واثاره السيئة تطال جميع اهل الارض. وهاتان الايتان تشيران إلى مدى التاثير السلبي لنقض الاسلام والنظام الطبيعي ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[٥] ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٦] ورغم ضرورة التناهي عن الظلم والوقوف بوجه الظالم واثره البليغ في ترسيخ الاسلام واشاعته، الا ان دوره يمتد ليكون درعا لحماية المستضعفين من النساء والاطفال

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٥١-٥٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٣.
(٣) سورة الاعراف، الآية: ٨٥.
(٤) سورة الشعراء، الآية: ١٨٣.
(٥) سورة الحج، الآية: ٤٠.
(٦) سورة البقرة الاية: ٢٥١.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[١].

تنبيه: ان السياسة ومنهج ادارة شؤون الدولة تعد من اهم فروع العلوم الانسانية ويعتبر الاسلام الدين دستور الحياة الفردية الاجتماعية في كافة المجالات الثقافية والاقتصادية والعسكرية و.... وهدفه قيام الناس بالقسط والعدل التي تعد من الدعائم الاساسية للسلم العالمي ﴿... لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[٢] ولم يال الانبياء جهدا في التضحية بالغالي والنفيس في هذا الطريق الشائك وفتحوا صدورهم للشهادة في سبيل الله بغية النهوض بالسلام العالمي العادل ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٣] ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[٤] ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[٥] غير ان الطغاة اعداء السلام العادل لم يالوا جهدا في تشويه هذا السلام واستبداله بسلام ظالم يمثل المساومة، فتارة يعتبرون الدين خرافة واسطورة واخرى كونه يمثل حقبة تاريخية مضت وانتهت ولابد من اللجوء إلى الحداثة والعصرنة، وما هذه الحداثة سوى العلمانية وفصل الدين عن السياسة. والهدف المشؤوم من هذا الفصل نزع سلاح الدين عن الوقوف بوجه الطواغيت ليهيمنوا عليه ويفسرون كما يحلو لهم ويتلاعبون باحكامه ومفاهيمه، وهذا ما اشار اليه مولى المتقين وامير المؤمنين علي عليه السلام «فان هذا الدين قد كان اسيرا في ايدي الاشرار، يعمل فيه بالهوى ويطلب به الدنيا»[٦]. فالسياسي الغاشم لايمارس مؤامراته دون الاستعانة بهذا الدين

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٥.
(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥.
(٣) سورة ال عمران، الآية: ١٤٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٦١.
(٥) سورة ال عمران، الآية: ١١٢.
(٦) نهج البلاغة: الرسالة ٥٣.

المظلوم المتاصل في قلب الناس واعوانه في تلك المؤامرات والسياسة الشيطانية. والحق ان الدين ينطوي على حقائق ثابتة واخرى متغيرة تتكيف مع الزمان والمكان بما لا ينسجم قط والخرافة والاسطورة والجمود على الماضي. والقران الكريم اما يبتدأ في بيان كتاب التكوين بوحدة هوية الله، ثم يخوض في كثرة مظاهر خلقة ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[١] واما ينطلق من كثرة ايات الخلق ويختتم بوحدة خالقها ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٢]. والاسلام في الوقت الذي يشيد فيه بدور العقل والتجربة على مستوى المعرفة والثناء على البرهان العقلي والتجربة الحسية وضرورتها في ضمان السلام العادل والحياة المتحضرة، لكنه لايعتبرها كافية لتلبية كافة متطلبات الانسان العلمية والعملية ومن هنا كما يحكم بعدم كفاية العلوم الطبيعية التي تعد حصيلة التجارب البشرية فانه يحكم ايضا بعدم كفاية العلوم العقلية بهذا الشان، ويؤكد على ضرورة ارسال الانبياء وانزال الوحي ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[٣] فالتجارب المريرة للماضي والحاضر تشير إلى عدم جدوى السلاح العلمي ما لم يقترن بالسلاح الديني، حيث يتحول إلى بؤرة فساد وافساد. ورسالة الدين بهذا الخصوص ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[٤]. الا ان هؤلاء الملوك الطواغيت الظلمة لابد ان يعلموا بان الله تعالى بالمرصاد لكل من تسول له نفسه

---

(١) سورة الحديد: الاية٤. (٢) سورة ال عمران، الآية: ١٩٠-١٩١.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٤-١٦٥.

(٤) سورة النمل، الآية: ٣٤.

الحيلولة دون هذا السلام العالمي، ولاسيما اولئك الجبابرة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾[١]. واستنادا لما سبق فانه يمكن القول ان الاسم يصرح بانسجام العلوم إلى جانب كونه موجهها وقبلتها، انسجام هذه العلوم كون كل علم بمثابة تفسير صحيح لزاوية معينة من نظام الوجود، وان صدر نظام الوجود منسجم مع عجزه ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾[٢].وعليه فجميع العلوم منسجمة مع بعضها. ويختزل الاسلام رسالة زعماء الدين والعلم في ركيزتين اساسيتين يعود احدهما إلى الزعماء والاخر إلى الاتباع. ما يعود إلى الزعماء هو تزكية العقل النظري وتزكية العقل العملي وتضحية النفس المسولة والامارة، لان الخطر الذي يهددهم لا يتمثل في الشهوة والغضب فحسب، بل حب الجاه ومحورية حب الذات وامثال ذلك، قال الله تعالى في اطار تكريمه للعلماء الربانيين وجعلهم في مصاف الملائكة ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣] بشان الملائكة ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾[٤] لكن ان افترض الذنب عليهم ـ ومثل هذا الفرض محال ـ فهو دعوى الالوهية ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[٥] وعليه لا مناص لهؤلاء الزعماء والمفكرين من المراقبة واما ما يعود إلى الاتباع الابلاغ الصحيح لسنة انبياء الله ورسالتهم ليتضح اولا: ان الدين لا ينفصل عن السياسة وثانيا: ماهية موجبات السلام العالمي الذي يعد هدف الجميع

---

(١) سورة الفجر: ٩-١٤.

(٢) سورة الملك، الآية: ٣.

(٣) سورة ال عمران، الآية: ١٨.

(٤) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٥) سورة الانبياء، الآية: ٢٩.

وثالثا: ما هي موانع تحقق السلام العالمي و«بيت القصيد» و«واسطة العقد» في تاريخ الانبياء بعد التوحيد وعبودية الله مقارعة الظلم لاشاعة السلام العالمي العادل، على سبيل المثال ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾[1] ولم يال ابراهيم الخليل عليه السلام جهدا في مقارعة نمرود الطاغي فتحمل كل ذلك العناء ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ﴾[2] كما رفع الكليم موسى عليه السلام شعار مناهضة الظلم ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[3] ليقتحم الميدان السياسي فيصبح اسوة لمسلمي العالم فيسالون الله الهداية إلى ذلك الطريق ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ﴾[4] وكان امر الله سبحانه لموسى الكليم لاسقاط النظام السلطوي الغاشم وارساء النظام العادل ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[5] وما زال شعار مواجهة الظلم ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾[6] تدوي في مسامع التاريخ، وهتاف اجتثاث الظلم ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[7] كما لازالت معجزة تدمير وخسف قارون ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾[8] تتربع على ذروة القدرة الغيبية. وعليه يجب على ائمة الدين والزعامات الفكرية والثقافية ان يعلنوا للعالم بان أتباع نبي الله توجب تذليل اخطر الطرق في ظل طاعة الله ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٤.
(٢) سورة الانبياء، الآية: ٦٨.
(٣) سورة القصص، الآية: ١٧.
(٤) سورة الحمد، الآية: ٧.
(٥) سورة ابراهيم، الآية: ٥.
(٦) سورة طه، الآية: ٢٤.
(٧) سورة الشعراء، الآية: ١٠.
(٨) سورة القصص، الآية: ٨١.

فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾[١] والتمرد على رسول الله يجعل اسهل الطرق كعقبة كؤود ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[٢] كما احتفظ الديوان الالهي بسيرة عيسى عليه السلام المناهضة للظلم على غرار سائر الانبياء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾[٣] ولابد في الختام من الالتفات إلى هذا الامر في ان كل تنمية عالمية سواء كانت تجارة ام سياسة ام امور اخرى انما تتجلى في ظل السلام العالمي العادل، والا سوف لن تكون نتيجة تلك التنمية سوى تنامي الفساد والياس والاحباط.

(١) سورة طه، الآية: ٧٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٦.

(٣) سورة الصف، الآية: ٣٠.

الفصل السادس:

الاسلام والبيئة

قضية البيئة وسلامتها لمن القضايا التي حظت باهتمام الدين الاسلامي. وتوضيح قضية البيئة وضرورة الاهتمام بضمان سلامتها والسبل اللازمة لتوفيرها وبالتالي ما تختزنة من اهداف تاتي في اطار كونها من الحقوق الاساسية للانسان من جهة وجزء من مهام المجتمع البشري من جهة اخرى والتي تتكفل بتامينها العلوم الانسانية كما ان تلويث البيئة يعزى إلى غياب معرفة البشرية بحقوقها وعدم ممارستها لمسؤولياتها. ومن هنا كان لابد من التعرف على العلاقات الثلاث في القائمة بين الانسان وذاته والانسان باخيه الانسان واخيرا الانسان بالطبيعة لتتضح اهمية توفير البيئة السليمة وظرورة الحفاظ عليها. وسنشير هنا إلى بعض المبادئ الضرورية بهذا الشان:

أ ـ ان القران الكريم الذي يعد اقدس متن ديني يعتبر صفحة الوجود جلوة من جمال الله وان انتظام الكون اساس سكينة البشرية ويشيد بجمال هذا الوجود فيقول بهذا الخصوص.

١ ـ كل ما كان مصداق لشيء وصدق عليه هذا العنوان فهو مخلوق لله ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾[1].

٢ ـ كل ما خلقه الله انما خلقه جميلا يستحيل ما كان اجمل منه، والا لعلمه

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٢.

الله ولم يخرج عن قدرته ويشذ عن وجوده وكرمه ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾[1].

٣ ـ ان الله خلق الانسان بمنتهى الجمال ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[2] ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾[3] ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[4].

ورغم خلق كل موجود بصيغة جميلة، الا ان الانسان كونه يستطيع ان يكون خليفة الله انما يتمتع بحسن وجمال مقارنة بسائر الكائنات والموجودات. ومن هنا قال تعالى بعد بيانه لكيفية خلق الانسان ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[5]. ولو كان هنالك مخلوق اجمل من الانسان لوصف الله نفسه حين خلقه لذلك الكائن الاجمل من الانسان باحسن الخالقين.

ب ـ جمال عالم الخلق في انتظامه بحيث خلق كل مخلوق على اساس انسجام خصائصه الباطنية وانطلاقا لهدف معين في ظل طريق ودليل محدد. وعليه فنظامه الفاعلي منسجم وحكيم إلى جانب نظامه الغائي ونظامه الباطني المتسق والحكيم ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[6].

ج ـ جمال الانسان بغض النظر عما سبق يتوقف على كرامته. والقران من جانبه كرم هذا الانسان ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[7]. وكرامة الانسان تتوقف على خلافته، ذلك لان خلافة الكريم تتمتع بالكرامة وتتعذر هذه الكرامة النابعة من الخلافة الالهية على من سوى الانسان. وعلى هذا الضوء لم يرد بشان أي مخلوق

---

(١) سورة السجدة، الآية: ٧.
(٢) سورة التين، الآية: ٤.
(٣) سورة غافر، الآية: ٦٤.
(٤) سورة التغابن، الآية: ٣.
(٥) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.
(٦) سورة طه، الآية: ٥٠.
(٧) سورة الاسراء، الآية: ٧٠.

اخر غير الانسان مثل هذا التعبير الرائع «من عرف نفسه فقد عرف ربه»[1] ذلك لان معرفة نفس الانسان كونه خليفة الله. وهذه الخلافة تكوينية وليست تعاقدية ـ انما تؤول حتميا إلى معرفة الله، ولم لم تؤول إلى معرفة الله لكانت معرفة غير صائبة للانسان، اما معرفة سائر الموجودات من حيث **«الامكان الماهوي»** او **«الامكان الفقري»** وكذلك من حيث الحدوث والحركة والنظم وامثال ذلك فهي توجب معرفة وجود الله او معرفة صفة من صفات الله الكمالية. اذا فكرامة الانسان في ظل خلافته و**«الخليفة»** من اتبع **«المستخلف عنه»** في كافة شؤونه العلمية والعملية وتنطلق دوافعه على ضوء ارادته. ومن ادعى الخلافة ولم ينطلق في تفكيره ودوافعه على ضوء توجيهات المستخلف عنه فهو كاذب في دعواه، غاصب لعرش الخلافة ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[2]وليس لمثل هذا الشخص من سبيل إلى الخلافة هذا الحصن المنيع خلافة الله. فقد اقر الله تعالى خلافته ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[3].

في هذا الانسان العارف باسمائه الحسنى ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ﴾[4]والذي يكون على الصعيد العلمي مصداق ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[5] فاهم عنصر في الخليفة بعد انفتاحة على المعارف الدينية عمارة الارض وتطهيرها من الدمار والفساد والمراد بالارض كل ما يقل البشرية من اعماق البحار حتى ذروة السماء. وعليه فثقافة سلامة البيئة مقرونة بمقام خلافة الله. فذاك الذي يلوث الجو بدلا من تنقيته ويهدم الارض بدلا من عمارتها ويقطع البذور بدلا من غرسها انما يكذب في ادعائه الخلافة.

د ـ الجمال الحقيقي **«لا الاعتيادي»** من سنخ الوجود والوجود حقيقة مشككة.

---

(١) شرح غرر الحكم: ج٥ ص١٩٤.
(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٠.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٣١.
(٥) سورة هود، الآية: ٦١.

وعليه فالجمال مراتب في طول بعضها البعض الاخر وبما ان جمال الانسان كامن في خلافته لله وان هذه الخلافة في الحكام اكثر منها في غيرهم فان رسالتهم في توفير البيئة السليمة يفوق ماهي عليه لدى ابناء الامة حيث يتمتع هؤلاء الحكام بكافة صنوف الاسلحة سيما الاسلحة الكيميائية والفتاكة وما شابه ذلك. ولعل ما يضيق الخناق الان على سلامة البيئة ويهدد المجتمعات البشرية بالفناء او المرض هو الاقتدار الطائش لارباب القدرات الذرية الذين صادروا نعم الله لصالحهم وسخروها ضد الشعوب ليصبحوا القيمين على عالمنا المعاصر ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾[1] في حين عين النظام الاسلامي وظيفة ولي الامر وزعيم المجتمع «ايما امرء ولي من امر المسلمين شيئاً لم يحطهم بما يحوط نفسه لم يرح رائحة الجنة»[2] وقد تجلى هذا الامر باروع صورة في تعليمات الحكومة العلوية الصادرة للعمال والولاة في مختلف مناطق البلاد الإسلامية. حيث اوصى الامام علي عليه السلام واليه قائلاً «وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لايدرك الا بالعمارة»[3].

ويؤكد الاسلام على عنصرين مهمين في جميع شؤون الحياة ليرى الولاة والزعامات معنية بتطبيقها، احدهما استحكام العمل والاخر فنيتة وجماليته. قال رسول الله صلى الله عليه وآله بشان العنصر المحوري الاول «ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه»[4] وقال في العنصر المحوري الثاني «يحب الله العامل اذا عمل ان يحسن»[5].

(١) سورة النمل، الآية: ٣٤.
(٢) نهج الفصاحة: ج٢ ص٦٩٢.
(٣) نهج البلاغة: الرسالة ٥٣.
(٤) نهج الفصاحة: ج٢ ص ٦٨٣.
(٥) السابق: ص٦٩١.

هـ ـ هنالك عناصر مهمة وحساسة تشكل الخطوط الاصيلة لهندسة الدين الالهي التي يمكن ذكرها بشان المسائل الحقوقية والاخلاقية في «العدل والحرية» وبشان القضايا الصحية في «الطهارة والتعطر».

فكما ينتظم غضب الله في ظل رحمته «تسعى رحمته امام غضبه»[١].

فان جميع التعاليم الدينية في مختلف مجالات الحياة انما تنظم على ضوء زعامة «العدالة والحرية» من جانب و«الطهارة والتطيب» من جانب اخر.

وبما ان الهدف من هذا المبحث بيان الرؤية الدينية بشان البيئة وسلامتها وليس ارشاد المراكز السياسية والحقوقية والاخلاقية و. . .. فسوف نغمض عن الحديث بخصوص العدالة والحرية ونقتصر على الاشارة إلى نظافة البيئة الانسانية:

١ ـ قال رسول الله ﷺ: «ان الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا افنيتكم»[٢] والذي يفهم من هذا الحديث اولا: ان لمبادئ سلامة البيئة في النظرة النبوية صبغة ملكوتية وان رعاية الطهارة والطيب في البدن والدار ومحل العمل وافنية المراكز التحقيقية والثقافية و. . .. كون الانسان خليفة الله وعلى الخليفة ان يستن بسنة وسيرة المستخلف عنه. ثانيا: ان الرائحة الطيبة ورعاية الطهارة تلطف الروح، ذلك لان روح الانسان تجاور بدنه وهنالك تاثير متبادل بينهما، فالطيب وطهارة البدن يقوي الروح الملكوتية ويضاعف من تحليقها في عالم الملكوت. ثالثا: اقتران الحديث المذكور بالاصول الثلاثة: العموم والدوام والاطلاق، بحيث ينبغي لجميع الناس بما فيهم الرجل والمراة والكهل والطفل ان ينظفوا ويطهروا ابدانهم واماكن عملهم طيلة حياتهم وان يبادروا إلى نظافتها وطهارتها كلما تعرضت إلى التلوث بفعل بعض

---

(١) بحار الانوار: ج٩٥ ص٢٦٩.

(٢) نهج الفصاحة: ج٢ص٦٠٦.

الاحداث. رابعا: ان هذه الطهارة والطيب بغض النظر عن اشارتها للحيوية والنشاط لدى الاخرين فانها محبوبة لله الجميل الذي يحب العطر والطيب والجمال.

٢ ـ قال النبي ﷺ: «ان الاسلام نظيف فتنظفوا فانه لايدخل الجنة الا نظيف»[١]، «تنظفوا بكل ما استطعتم فان الله تعالى بنى الاسلام على النظافة ولن يدخل الجنة الا كل نظيف»[٢]. فاساس النظام الاسلامي عقيدة التوحيد المطهرة من دنس كل شرك والحاد وكفر وزندقة، والخلق الحسن المنزه من كل ظلم وحقد وحسد ورذيلة، والفقه والاحكام النقية من كل شائبه وانحراف وجمود. والجدير بالمتدينيين بهذا الدين ان يتطهروا من كل دنس وتلوث فقد اعتبر رسول الله ﷺ النظافة في مصاف التقوى وانها وظيفة عامة ودائمية وشاملة، وكما قال تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[٣]. ولما كان الطيب محبوب الله فان حبيبه ﷺ كان يحب الطيب، ومن هنا قال الرسول الاكرم ﷺ «حبب الي من دنياكم ... والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»[٤]. وقال في الحث على الطيب «لو اذن الله تعالى في التجارة لاهل الجنة لاتجروا في البر والعطر»[٥].

كناية عن اهتمام الاسلام بخبز المجتمع الذي يتاتى في ظل الاقتصاد السليم وبالبيئة السليمة والجو النقي والمعطر الذي يتوفر في ظل مبادئ سلامة الوسط. ومن هنا فان الامة النازعة نحو الجنة والمجتمع المعنوي يسعى لئن يتمتع باقتصاد سليم البعيد عن التمايز الطبقي ويتحلى ببيئة سالمة ونقية البعيد عن الاسلحة الفتاكة التي تدار من قبل العناصر غير الصالحة اما الدولة التي تنزع إلى جهنم فتسعى لغرض المقاطعة والحصار الاقتصادي على سائر الدول المستقلة والمتحررة وتصدير

(١) نهج الفصاحة: ج٢ص٩٩٨.
(٢) السابق.
(٣) سورة التغابن، الآية: ١٦.
(٤) نهج الفصاحة: ج٢ص٦٠٦.
(٥) نهج الفصاحة: ج٢ص٦٠٧.

الاسلحة الجرثومية بغية السيطرة عليها وقد تناست مصير من سبقها من الحكومات الغاشمة والمستكبرة.

٣ ـ قال رسول الله ﷺ: «ثلاث يجلين البصر، النظر إلى الخضرة والى الماء الجاري والى الوجه الحسن»(١) وما اروع الخضرة ان اقترنت بالغرس المثمر والنافع. قال النبي ﷺ «من غرس غرسا لم ياكل منه ادمي ولاخلق من خلق الله الا كان له صدقه»(٢).

كما روي عنه ﷺ انه قال «من زرع زرعا فاكل منه طير كان له صدقة»(٣)

٤ ـ جاء في الحديث الماثور عن الامام الصادق عليه السلام انه قال «لا يطيب السكنى الا بثلاث، الهواء الطيب والماء الغزير العذب والارض الخوارة»(٤). وقد وفر الله تعالى كافة العناصر المحورية اللازمة للحياة البشرية وجعل الاستفادة منها جزءا من حقوق الانسان وحث المجتمع على صونها مما يتهددها من افات التاكل والانقراض وما شابه ذلك. فان تقاعس الفرد او المجتمع او الدولة في معرفة هذه العناصر او قصر في نيلها والحفاظ عليها فانه لم يمتثل وظيفته الدينية.

فمعرفة هذه العناصر والحفاظ عليها وتحاشي هدمها مما اعتبرته الاديان الالهية بمختلف مناهجها وشرائعها من ابرز حقوق الانسان واوضح التكاليف البشرية بغية ضمان اقتران حيوية المجتمع بسلامته وطهارته. ومن هنا نهى الدين عن تلويث الوسط والبيئة والاماكن العامة من جهة ورغب في معالجته ان ظهر من جهة اخرى قال الامام الصادق عليه السلام «ان الله عز وجل اذا انعم على عبد نعمة احب ان يرى عليه اثرها، قيل: وكيف ذلك؟ قال: ينظف ثوبه ويطيب ريحه ويحسن داره

---

(١) نهج الفصاحة: ج١ص٢٩٢.
(٢) نهج الفصاحة: ج٢ص٥٦٣.
(٣) نهج الفصاحة: ج١ص٤٣٥.
(٤) بحار الانوار: ج٧٥ ص٢٣٤.

ويكنس افنيته . . . .»[1] والامور المذكورة تمثل الحقوق والواجبات المتبادلة لكافة ابناء المجتمع. قال رسول الله ﷺ «من اماط عن طريق المسلمين ما يؤذيهم كتب الله له اجر قراءة اربعمائة اية كل حرف بعشر حسنات»[2]. طبعا ليس المراد من الطريق خصوص الطريق البري، بل يشمل الطريق البحري والجوي كما ان المراد من الشيء الذي يؤذي كل من شانه الحاق الاذى بالمارة ويقضي على حيويتهم ونشاطهم «**كالقمامة ودخان المعامل والمصانع**» وان قدسية رعاية مبادئ واصول البيئة السليمة كقداسة المتون الدينية. ويتضح مما سبق ان الدولة او الامة التي لا تعيش هاجس التفكير في الفضاء المطلق والذي يبعث على الحيوية والنشاط وتسيئ عامدة إلى الطبيعة وتصمت ازاء بعض اصحاب المصانع الذين يلوثون الاجواء انما تتعرض لسخط الله وعاقبتها جهنم وبئس المصير. ولذلك قال رسول الله ﷺ «ثلاث ملعون من فعلهن: المغوط ظل النزال والمانع الماء المنتاب وساد الطريق المسلوك»[3] ومن هنا كان الامام السجاد عليه السلام ينزل من راحلته ويميط الاذى عن طريق المسلمين[4]. كما يروى ان المسيح عليه السلام مر بقبر وراى عذاب صاحبه. فلما عاد في السنة القادمة راه معافى من ذلك العذاب. فاوحى الله تعالى اليه ان ابنه كبر واصلح سبيله واوى اليتيم وكان يميط الاذى عن الطريق فرفع عنه العذاب[5]. ورغم ان حفظ سلامة البيئة انما يعود إلى العلوم الطبيعية والتجربية الا ان حصيلته ومعطياته صبغة علوم انسانية. ولابد من معرفة الانسان قبل كل شيء في كافة فروع العلوم الانسانية. ولايفسر الانسان الكريم سوى القران الكريم وكما ان افضل منهج تفسيري للقران الكريم بغض النظر عن الاستعانة بالبرهان العقلي والاعتماد على

---

(١) بحار الانوار: ج٧٦ص١٧٦.

(٢) بحار الانوار: ج٧٥ ص٥٠.

(٣) وسائل الشيعة: ج١ ص٣٢٥، الباب ١٥، ابواب احكام الخلوة.

(٤) بحار الانوار: ج٧٤ص٥٠.

(٥) بحار الانوار: ج٧٤ ص٤٩.

الحديث يتمثل في تفسير القران بالقران، فان افضل منهج لمعرفة الانسان تفسير الانسان بالانسان أي لابد من ارجاع متشابهات الحس والوهم والخيال إلى محكمات العقل النظري على صعيد التفكير وارجاع متشابهات الشهوة والغضب على صعيد الدوافع إلى محكمات العقل العملي وبالتالي جعل الفطرة المودعة لدى الانسان مرجع العلم والعمل لتحتفظ مبادئ واصول البيئة السليمة بصبغتها الملكوتية.

الفصل السابع:

الدين والتنمية

يهتم الدين بالتنمية بمختلف مجالاتها من قبيل التنمية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية ولم يفوض لابناء المجتمع هذه الامور فلابد ان يكون للدين رايه الشمولي بشان التنمية كونه شموليا يستوعب كافة البشرية. وللاسلام الدين الخاتم والعالمي ـ الذي يتجاوز حدود الزمان والمكان ـ رسالته التي تلبي حاجات البشرية ومتطلباتها. وعلى هذا الضوء فان معرفة الدين تشكل لبنة هذه القضية وان تعذرت احيانا احيانا هذه المعرفة وتعقدت ذلك ان للدين ثلاث ركائز اساسية احداها في باطن النفس البشرية والاخريان خارج النفس، وعلى الانسان ان يجرد ذاته ليقف على عنصر الدين الباطني ويرى العنصرين الخارجيين لتتبلور لديه فكرة عن الرؤية والاطروحة الدينية والعنصران الخارجيان هما القران والعترة اما العنصر الباطني فهو العقل والفطرة التي تعد من البراهين الشرعية، أي ما يفهمه العقل بصورة قطعية حجة شرعية، وهذا بحد ذاته دليل على ان الدين مجموع العقل والنقل. وعلى ضوء هذه العناصر الثلاث كانت معرفة الدين معقدة تتطلب مزيدا من العناء.

❖ ثلاث ملاحظات مهمة

لابد من الالتفات إلى الامور التالية للوقوف على علاقة الدين بالتنمية.

الامر الاول: ان التنيمة الاقتصادية من شؤون المجتمع البشري ولا فعل وشان في الدين ليس له حكم فان كانت التنمية فعل من افعال الانسان والانسان

ينطلق فيه من تفكير ودافع كان لابد ان يكون للدين حكمه المعين بهذا الشان أي يقول ما حكم التنمية الوجوب ام الاستحباب ام الحرمة ام الاباحة؟ فان لم تنطبق الاحكام الثلاثة الاولى على التنمية فمعنى ذلك ان الدين يقول ان الانسان حر في ان ياتي بها او لا ياتي بها أي يحكم باباحتها.

الامر الثاني: الاحكام الشرعية قسمان: تاسيسي وامضائي. الاحكام التاسيسية هي الاحكام التي يحددها الشارع، والاحكام الامضائية ما يمضيه الشارع وسيرة العقلاء فما يفهمه العقل يمضيه الشارع والحكم الذي يمضيه الشارع كالحكم التاسيسي حجة شرعية، أي ان الاحكام الشرعية لا تقتصر على الاحكام التاسيسية بل تشمل الاحكام الامضائية. ومن هنا قالوا السنة ثلاثة اقسام: قول المعصوم وفعل المعصوم وتقريره. والتقرير والامضاء اما بالفعل والعمل او بالقول والسكوت. وعليه فان امضى المعصوم حكما بسكوته، كان ذلك الحكم دينيا ويؤتي به المكلف بصبغة دينية.

الامر الثالث: ان الدين لم يتجاهل التنمية ويحول دونها وعلى جميع الصعد فحسب بل رغب بالتنمية وحث عليها حتى انه توسع في هذه التنمية وعدلها في المجالات الفقهية والاخلاقية والعقائدية.

❖ تعديل التنمية على الصعيد العقائدي

لابد ان تنطلق جميع افعال الانسان في الجانب الاقتصادي والثقافي والتعليمي و... وفق اوامر الله بغية نيل رضاه. كون الله اساس جميع الافعال وانه خلق كل شيء وبيده نفع الانسان وضرره وحاضره ومستقبله وحشره ونشره، كما ينبغي للانسان ان يجعل هدفه التقرب إلى الله في كافة افعاله لتكتسب هذه الافعال صبغة عبادية. فان انطلق الانسان في سعيه بغية رضى الله اعتمد العلوم النافعة وعاش العدل في سلوكه الاقتصادي أي كان عادلا في الانتاج والتوزيع.

❖ تعديل التنمية على الصعيد الاخلاقي والثقافي

دعا الدين المجتمع البشري على صعيد الاخلاق والثقافة إلى بسط العدل والقسط ونهاه عن الاعتداء على حقوق الاخرين. كما حثه على التعليم والتعلم العملي والاستفادة القصوى والصائبة من العلم، بحيث ليس هنالك من امر اخلاقي او علم ضروري الا شجع الدين على تعلمه واوجب او ندب على العمل على اساسه.

❖ التنمية على الصعيد الفقهي

كل ما كان من متطلبات المجتمع البشري وتوفيره نافع اما واجب عيني او واجب كفائي في الفقه الاسلامي. بعبارة اخرى كل ما كان له دور في سعادة الانسان ولايستغني عنه المجتمع ليمارس حياة سعيدة فان تحصيله واجب كفائي او عيني. واستنادا لما سبق فانه يمكن القول ان التنمية عملية تنطوي على النهوض المستمر بالعلاقات المادية والمعنوية والاسس الاقتصادية ـ الاجتماعية ويسع الانسان في ظلها ان يبلغ السمو والكمال وعلى ضوء هذا التعريف فان التنمية اولا: قضية حيوية ذات ديمومة واستمرارية وثانيا شمولية ولا تقتصر على الاقتصاد وثالثا هادفة تتمحور حول الانسان ورقيه وكماله. بفضله الدين الشمولي اورد بعض الحقائق والقواعد بشان التنمية الاقتصادية بحيث لا تقتصر وظيفة البرمجة والتخطيط الذي يهدف إلى ايصال المجتمع إلى التنمية الاقتصادية ـ التي تسهم بالتالي في رقي الانسان وتكامله من خلال حصول الانسان على الخدمات ـ على الدولة فحسب، بل تشمل الافراد الذين ينبغي لهم ان يعيشوا فكرة التنمية، ويحثوا الخطى بهذا الشان من خلال السعي والمثابرة. وقد شحنت المتون الدينية والاسناد النقلية بعدة حقائق بشان التنمية الاقتصادية، نشير هنا إلى بعضها:

❖ التوسعة على واجب النفقة

وسع الاسلام من دائرة المعيشة على المستوى الفردي إلى الدائرة الاجتماعية

بحيث كف الفرد بالاصلاح معيشة الاخرين بما فيهم الزوجة والولد والوالدين روى المرحوم الفيض في المحجة البيضاء ان رسول الله ﷺ كان جالسا بين اصحابه فمر بهم فتى قوي فقالوا: ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله. فقال ﷺ: لا تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسالة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وان كان يسعى على ابوين ضعيفين او ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا او تكاثرا فهو في سبيل الشيطان»[١]. وتبين هذه الرواية لزوم التوسع على الانسان الواجب النفقة، الا ان مزيد من التمعن في المتون الدينية يشير إلى لزوم تلبية الامة الإسلامية لحاجات الفقراء الذين يعيشون في الوسط الاسلامي على نحو الوجوب العيني او الكفائي حيث قال رسول الله ﷺ «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[٢].

تنويه: يرى الدين وجوب النفقة على بعض الافراد كالزوجة والولد والوالدين. ويرى احيانا وجوب النفقة على المحتاجين في المجتمع الاسلامي من قبل ذوي الثراء والمكنة فان علم احدج بحاجة اخر ولم يعلم به الاخرون كانت نفقته على هذا الشخص على نحو الوجوب العيني، فان علم به بعض الاثرياء كانت نفقته واجبة عليهم على نحو الوجوب الكفائي. وهذه هي الرسالة الثانية للدين التي تشمل دائرتها المسلمين المحتاجين. ومن هنا قال رسول الله ﷺ «من اصبح لا يهتم بامور المسلمين فليس بمسلم»[٣]. مثلا لو كان الفرد او المجتمع مطلع ومتمكن ويستطيع ان ينقذ المسلمين المحتاجين من الفقر والجوع وجب عليه الاتيان بهذا العمل. والرسالة الثالثة للدين التي تفرزها شموليته قضاء حاجة غير المسلم الذي يستمد العون من المسلمين. أي يجب على المسلم المتمكن المبادرة إلى انقاذه قال رسول الله ﷺ «من سمع رجلا ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم»[٤]. والرسالة

---

(١) بحار الانوار: ج٧٢ ص٣٨.
(٢) السابق.
(٣) اصول الكافي: ج٢ص١٦٣.
(٤) اصول الكافي: ج٢ص١٦٤.

الرابعة للدين قلبية حاجات الحيوان حيث لابد من المبادرة إلى رفع عطش وجوع الحيوان غير المؤذي. قال الامام الباقر ﷺ: «ان الله تبارك وتعالى يحب ابراد الكبد الحري ومن سقى كبدا حري من بهيمة او غيرها اظله الله يوم لا ظل الا ظله»[١] وقال الامام الصادق ﷺ «افضل الصدقة ابراد كبد حري»[٢] فالحديث في الروايتين عن الكبد سواء كان كبد انسان او كبد حيوان. وعليه فالدين الذي يصر بالاجر والثواب لمن سقى الحيوان ماءا ورفع جوعه لهو دين شمولي بما يفوق التصور فان كان راي الدين ان لا يدع الانسان جائعا او عطشا على وجه الارض فان كل ما يتنفس ولا يشكل خطرا على الانسان والاسلام تحت تكفل عامة المسلمين وعلى المسلمين تلبية حاجته. وعليه فالقاعدة الكلية ان كل من استنجد بمسلم او بالبلد الاسلامي وان كان في اقصى الارض وكان استنجاده على الصعيد السياسي او الفكري او الاقتصادي او العسكري وجب على المسلمين المسارعة لنجدته، والا فهم ليسوا مسلمين حقيقيين فان زعم شخص وقال: لا اعلم ولا استطيع، سئل: لم لم تتعلم وتصبح قادرا؟ فالعلم والقدرة الاقتصادية لا تتيسر لاحد تلقائيا، بل شرائطها تحصيلية ولابد من توفيرها.

تنبيه: يمكن ان تكون المعونة العسكرية وامثال ذلك في اطار اتفاقية محلية او اقليمية او دولية ذلك لان الالتزام بالاتفاقيات من الاحكام الإسلامية الحتمية.

❖ التنمية الثقافية والدينية

١ ـ ان الدين يامر بتعلم العلوم النافعة حتى لو تطلب ذلك تحمل عناء السفر إلى اقصى مناطق العالم، قال النبي ﷺ «اطلبوا العلم ولو بالصين»[٣].والعلم في هذه الرواية عام يشمل مختلف العلوم الانسانية والتجربية والرياضية . . . .

---

(١) فروع الكافي: ج٤ص٥٨.

(٢) اصول الكافي: ج٤ص٥٧.

(٣) بحار الانوار: ج١ص١٧٧.

٢ ـ لابد من الانفتاح على مختلف اللغات الاجنبية والتعرف على اداب السفر وثقافة التعامل مع الاخرين بغية العمل بهذه الرواية.

٣ ـ ان يكون التعليم دائما قبل التعلم لان العلم يسبق الجهل أي ان الدين ان اوجب التعلم على الجهال فقد اوجب قبل ذلك على العلماء وتعليم العلم. قال الامام الصادق عليه السلام «قرات في كتاب علي عليه السلام ان الله لم ياخذ على الجهال عهدا بطلب العلم حتى اخذ على العلماء عهدا ببذل العلم للجهال لان العلم، كان قبل الجهل»[١] وعليه كما يجب التعلم على الجهال فان التعليم واجب على العلماء أي ان الميثاق والعهد ثنائي وكما اخذ العهد من الجهل بالعلم اخذ من العلماء بالتعليم.

٤ ـ ينبغي للمسلمين ان يتفاعلوا مع سائر الشعوب بغض النظر عن الالمام بلغاتها والتعرف على عاداتها وتقاليدها. وان يتعاطوا مع ثقافتها والانفتاح على علومها بغية ممارسة التنمية الثقافية طبعا الفرد او الشعب الذي ينشد التنمية الثقافية والاقتصادية لا ينبغي ان يغيب عاداته وادابه الصحيحة وينصاع لعادات الاخرين. فان كانت هنالك سنة نابعة من العقل والعهد الالهي والفطرة وجب تنميتها، وان كانت مخالفة للعقل والفطرة عمل على ازالتها.

❖ فسبيل التنمية النهوض بالعقل والفطرة والميثاق الالهي.

٥ ـ الاسلام انجع الاديان والمدارس «الاسلام يعلو ولا يعلى عليه»[٢] وعلى هذا الضوء فان الامة الإسلامية مكلفة في اطار التنمية الثقافية وعقب التعليم والتعلم بالانفتاح على سائر الائمم وتعريفها بالرسالة والوقوف على حقائق القران والعترة، وهو الاصل الذي يسود كافة جوانب التنمية.

---

(١) اصول الكافي: باب بذل العلم: ج١ص٤١.

(٢) بحار الانوار: ج٣٩ ص٤٧.

❖ التنمية السياسية والاجتماعية

الدين الاسلامي دين عالمي، والدين العالمي يقول لابد من التعايش السلمي مع من لا يتصدى لهذا الدين ويحاربه ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[١] وعلى هذا الاساس يمكن التعامل بالعدل والقسط مع من يشك في الدين ولم تتضح لديه حقيقته.

❖ انواع التنمية

التنمية نوعان: مذمومة وممدوحة. التمنية المذمومة من قبيل الاسراف والترف والبذخ وماشابه ذلك ذلك لان القران ذم المسرفين والمترفين، وقال بشان اولئك الذين اقتصروا بالتنمية على انفسهم ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾[٢] ومن اقتصر بتفكيره على نفسه ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾[٣] كما ذم القران اولئك الذين اختزلوا تفكيرهم في كنز الذهب والفضة ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٤] ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾[٥] كما ذم البخل والشح ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾[٦] ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٧] اما التنمية الممدوحة فتكمن في الانتاج الغزير المقرون بالقناعة في الاستهلاك أي كلما كنا اكثر مثابرة في الانتاج كان نجاحنا اعظم كما نشعر بارتياح اعظم كلما كنا اكثر

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٨.
(٢) سورة ال عمران، الآية: ١٥٤.
(٣) سورة محمد، الآية: ١٢.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٣٤.
(٥) سورة الفجر، الآية: ٢٠.
(٦) سورة النساء، الآية: ١٢٨.
(٧) سورة الحشر ' الاية ٩.

قناعة في الاستهلاك. بعبارة اخرى ان الحرص في الانتاج ممدوح والحرص في الاستهلاك مذموم.

❖ ارتكاز التنمية الممدوحة على العقل والعلم

تتمحور جميع الامور بما فيها التنمية حول العقل والعلم حسب الرؤية القرانية فاذا ما اصبح العقل محورا كان ايعازه بالرحمة والانتظام في محله فالاسلام مثلا على صعيد الحقوق والعقوبات في الوقت الذي يشيد فيه بالرحمة والرافة ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[١] يصرح بشان من يفسد من رجل وامراة ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾[٢] ويتضح من هذا ان الله تعالى ان مدح الانسان المسلم بالرحمة «رحماء بينهم» فان المعيار الرحمة العقلية وليست الرحمة العاطفية اذا من الواضح ان العقل «لا العاطفة» لا ينبغي ان يهيمن على جميع شؤون الحياة وان فسر احدهم التنمية المنشودة بالرفاهية والترف والاسراف فسوف يجعل الراسمالية الغريبة قدوة التنمية الاقتصادية والحال هذا التفسير باطل وعاري عن الصحة والاسوة والقدوة النظام العقلاني الذي تبناه الاسلام في ان ينشط الانسان على اساس العقل في الانتاج ويتمحور حول العقل ايضا في الاستهلاك وقد شخص القران دور الاقتصاد وتاثير المال في المجتمع ليعتبر المال خيرا وبمثابة العمود الفقري للمجتمع، وعلى هذا الاساس نوه إلى العاقل ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾[٣] فالمال اساس قوام المجتمع ولايمتلك المجتمع النضير القدرة على القيام فمثل المال في المجتمع كمثل الدم في العروق والشرايين قال تعالى ﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ﴾[٤] حيث ينبغي ان يتوزع المال على كافة

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٢) سورة النور، الآية: ٢.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٧.

شرايين المجتمع والا اختل العضو الذي لايجري فيه الدم ويموت. والاموال والثروات الباهضة في النظام الراسمالي انما تكون بيد فئة معينة في حين لايقر الاسلام بهذه المعادلة الظالمة التي تصيب بالشلل سائر فئات وطبقات المجتمع. والانسان الذي يحصل على المال عن طريق الرشوة والربا ودون الانتاج الصحيح والكسب الحلال، وذاك الذي يحصل على المال بالطرق المشروعة لكنه يسرف في الاستهلاك كلاهما سفية ومعيار العقل والسفة طاعة الله والتمرد عليه فالمطيع عاقل طيب السريرة والمتمرد سفيه فقد اوصى القران بعدم جعل المال تحت تصرف السفيه واشار ايضا إلى معيار السفه ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾[1] وعليه لما كان المال قوام وحياة المجتمع فلا ينبغي جعله تحت تصرف السفهاء والسفيه من تمرد على اوامر الله ونستنتج من ضم الصغرى والكبرى ان المسرف والمرفه سفيه ولا ينبغي ان يؤتى المال. والحاصل فان التنمية الممدوحة تلك التي يسعى فيها الانسان لسد حاجاته وحاجات المجتمع وهذا السعي والجهد كوثر وممدوح. والتنمية المذمومة تلك التي تهدف إلى انماء الثروة والتفاخر وهذا النوع من التنمية تكاثر ومذموم والذي وصفه القران ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾[2] قال الامام الباقر عليه السلام «مثل الحريص على الدنيا مثل دودة القز كلما ازدادت من القز على نفسها لفا كان ابعد لها من الخروج حتى تموت غما»[3] فالانسان الحريص على الطعام وياكل بشره وهمه بطنه يحيل انسانيته حيوانية وكما قال امير المؤمنين عليه السلام «من كان همه بطنه فقيمته ما يخرج منها»[4] وقال «لاتجتمع الفطنة والبطنة»[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٠.

(٢) سورة الهمزة، الآية: ٢-٣.

(٣) اصول الكافي: ج٢ص٣١٦.

(٤) نهج البلاغة: الحكمة ٣٢٦.

(٥) غرر الحكم: ج٦ ص٣٧٠.

❖ دور التنافس في التنمية الممدوحة

يمكن الجمع بين التنمية والتنافس ذلك لان التنمية الممدوحة تعني السعي والعمل من اجل الانتاج الاكثر تستلزم المنافسة لتحصيل الثروة عن هذا الطريق وبالنتيجة تلبية المزيد من حاجات الاخرين والتنافس ممدوح في الاسلام فالسوق الصناعي والزراعي والتجاري لايتالق مالم تكن هناك منافسة. ولابد ان يبرمج هذا التنافس من قبل العقل وليس من جانب الشهوة والغريزة بعبارة اخرى التنافس على قسمين:

١ ـ تنافس على اساس الشهوة والغضب وهذا التنافس عاطفي وحيواني مدعاة لمضاعفة الثروة وهو مذموم.

٢ ـ تنافس عقلاني والذي لا يتضمن الحاق الضرر بالاخرين واذاهم ويتمحور حول الاتقان والدقة في الانتاج فقد ذم القران التنافس المؤدي إلى جمع المال وزيادة الثروة ليقول بشان قارون ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦٓ﴾[1] فلما راه العاديون من الافراد ذهلوا وقالوا ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾[2] اما العقلاء ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾[3] والتنافس الخاضع للعقل مما اشاد به القران وحث على المسارعة اليه والسبق ومعلوم ان السبق يعقب السرعة والسرعة تعقب الحركة والمجتمع الساكن فاقد للحركة والسرعة ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[4] ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[5] فان سبقتم ففكروا بمن خلفكم وخذوا بايديهم ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[6] اذا فالسبق

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧٩.

(٢) السابق.

(٣) سورة القصص، الآية: ٨٠.

(٤) سورة ال عمران، الآية: ١٣٣.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٦) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

متفرع على الهجرة والحركة والسرعة والتي ينبغي ان تتم في ظل المعرفة العقلية والا فان السفه والخروج من العقل سوف يكون مذموما.

❖ مميزات المنافسة الشريفة

لابد من الاشارة هنا إلى بعض خصائص المنافسة الشريفة الممدوحة بعد ان فرغنا من بيان العلاقة بين التنمية الممدوحة والمنافسة.

١ ـ الممزوجة بالمعونة العقلية كما قيل فان اصل المنافسة مقبول لدى الدين الا ان التنافس لايعني سعي الشخص للقضاء على منافسه بل ان يسعى لسبق الاخرين من جانب ولا يتجاهل التعاون ومد يد العون إلى الاخرين من جانب اخر. وان ينطلق هذا التعاون من محور العقل وليس العاطفة فليس في الاسلام مشروع عاطفي محض قط بل لابد من ان تخضع العاطفة والرافة والخيال والوهم لسلطة العقل العملي والنظري. بعبارة اخرى ان التعاون من المبادئ المعنوية للاسلام والذي يدار من قبل العقل. وعليه فالتنمية تتوقف على المنافسة والمنافسة تتمحور حول العقل.

٢ ـ الديمومة والرسوخ: هل يستطيع الانسان على ضوء التفكير المادي خوض المنافسة دائما ام لا؟ ذلك لان اغلب الافراد لا يقوى على الاكل والنوم عند الشيخوخة وربما يبلغ الانسان مرحلة لايمتلك فيها الدافع على الانتاج وبالنتيجة سوف تزول المنافسة كون دافع التنافس كان ماديا. اما على ضوء التفكير الرباني فالانسان لايفقد دافع المنافسة على الدوام لان اصل العمل أي الانتاج لتامين حاجة المجتمع البشري خير والمتنافسون مشمولون بالاية ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[1] والخلاصة فان الدين يحث على التنمية ويرى المنافسة احد عناصرها بشرط ان تكون المنافسة عقلائية على مستوى التفكير وذات دافع انساني ورباني لتكون خالدة دائمية على هذا الاساس.

---

(١) سورة المطففين، الآية: ٢٦.

❖ سؤال وجواب

سؤال: ان كان الدين يؤمن بالتنمية وكانت التنمية تتطلب برمجة وهناك برمجة قصيرة الامد وطويلة الامد فلم نهى الاسلام عن الحرص وطول الامل والتكاثر وامثال ذلك؟ او لا يتعارض هذا النهي مع التخطيط للامد البعيد؟

جواب: دعا الدين الانسان إلى الكوثر والكوثر ممدوح. كما يحول الدين دون التكاثر ويعتبره مذموما فان سعى الانسان لمصالحه الشخصية كان ذلك حرصا والحرص من التكاثر وهو مذموم اما ان كان سعيه من اجل الكوثر «الاكتفاء الذاتي للمجتمع» وليس للتكاثر فان هذا التخطيط والبرمجة البعيدة الامد كوثر ومطلوب فعلي بن أبي طالب عليه السلام الذي نهى الاخرين عن اطالة الامد كان يخطط في حياته على المدى البعيد فقد قال عليه السلام «ان اخوف ما اخاف عليكم اثنتان أتباع الهوى وطول الامل»[1] الا انه عليه السلام حمل متاعا على ناقة فساله شخص عن الحمل فاجابه: مئة الف نخلة: فقال السائل ان الناقة لايسعها حمل مئة الف نخلة فرد عليه السلام انها بذور كثيرة ستؤول بعد الزراعة إلى مئة الف نخلة[2] كما صعد عليه السلام المنبر في اليوم الثاني من خلافته وقال سوف لن يمد يده إلى بيت المال ما دامت عنده تلك النخيل يتقوت عليها فان كففت يدي عن بيت المال سوف اكف ايدي الاخرين عن التطاول على بيت مال المسلمين. وعليه فان طول الامد مدعاة للتكاثر فهو مذموم وان مدعاة للكوثر فهو ممدوح. وبعبارة اخرى النهي عن طول الامل يمنع التكاثر ولا يحول دون التخطيط بغية تلبية حاجات الامة الإسلامية. وهذا ما اشار اليه الامام الكاظم عليه السلام اذ قال «اعمل لدنياك كان تعيش ابدا واعمل لاخرتك كانك تموت غدا»[3]

(١) نهج البلاغ: الخطبة ٢٨.
(٢) بحار الانوار: ج٤١ ص٣٠.
(٣) من لايحضره الفقيه باب المعايش والمكاسب: ج٣٣ ص١٥٦.

الخاتمة

نتطرق هنا إلى بعض التعاليم الإسلامية الاصيلة الواردة عن رسول الله ﷺ وبمثابة دستور يستبطن الكثير من الدروس والعبر:

١ ـ النظرة الشمولية للدنيا والاخرة

«خيركم من لم يترك اخرته لدنياه ولا دنياه لاخرته ولم يكن كلا على الناس»[١] ومن الواضح ان المجتمع الذي ينظر بشمولية للدنيا والاخرة لاسبيل امامه سوى اعداد اسباب الاستقلال والحرية والا عاش الزهد السلبي الذي يجعله يغيب دنياه ويكون كلا على الاخرين وعلى هذا الضوء يتضح اجمالا معنى الدنيا الممدوحة والدنيا المذمومة أي سوف لن يكون قضاء الحاجات للفرد والمجتمع مناقضا للزهد وطلب الاخرة والعافية.

٢ ـ التفقة واصلاح المعيشة

«من فقه الرجل ان يصلح معيشته وليس من حب الدنيا طلب ما يصلحك»[٢]

يقتضي تفقة الامة الحياة الصالحة وليس المراد من اصلاح المعيشة خصوص الاصلاح الاخلاقي، بل المراد كل ما من شانه ان يؤدي إلى العيش بصورة احسن وافضل. كما ان صلاح العيش يستلزم مجانبة الاسراف والتبذير التي تفسد الحياة فحب الدنيا راس كل خطيئة والانغماس فيها والتهافت عليها يكدر صفو العيش

(١) نهج الفصاحة: ج١ص٣٤٢.

(٢) نهج الفصاحة: ج٢ص٩٤٢.

ويلوثه بمختلف المفاسد وهنا ياتي دور التفقة في الدين ليضع الحد الفاصل بين الدينا المذمومة الباطلة والاخرى الممدوحة الحق.

٣ ـ اصلاح الدنيا والعمل للاخرة

«اصلحوا دنياكم واعملوا لاخرتكم كانكم تموتون غدا»[١]، «اعمل عمل امرء يظن انه لن يموت ابدا واحذر حذر امرء يخشى ان يموت غدا»[٢].

ولعل رسائل هاتين الروايتين توجز في ما يلي:

أ ـ ان لا تناقض بين اصلاح الدنيا والاتيان باعمال الاخرة.

ب ـ ينبغي ان ينطلق اصلاح الدنيا من منطلق العمر المديد أي ليس لاحد ان يعيش ضيق الافق والنظرة العابرة في التخطيط الدنيوي، والا كان عليه ان يتلقى كوارث الفقر والحرمان.

ج ـ ليس هنالك من سبيل للتخلص من قسوة هذه المعاناة سوى التفكير البعيد والشمولي.

د ـ لا ينبغي خلط الطلب المحمود بطول الامل المذموم فلابد من تامل المعنى العميق لديث النبي ﷺ «الصراط ادق من الشعر واحد من السيف»[٣] في كافة المباحث الدينية أي ان للصراط المستقيم الذي يسئل الله الهداية اليه في جميع الفرائض بعد نظري ومعرفي وجانب عملي وعيني ومعرفة هذا الصراط امر في غاية الصعوبة بحيث ان دركه ادق من الشعر الذي لا يرى بسهوله. وبالطبع فان رؤية هذا الصراط ستكون اصعب واعقد. كما ان الصراط المستقيم على الصعيد العملي

---

(١) نهج الفصاحة: ج١ص٥٥.
(٢) نهج الفصاحة: ج٢ص٦٨١.
(٣) بحار الانوار: ج٨ص٦٥.

والعيني غاية في الصعوبة ايضا بحيث ان اجتيازه اصعب من اجتياز حافة السيف. الغرض ان الفرق بين الامل الطويل المذموم والتخطيط البعيد الامل كالفرق بين الحق والباطل وهذا الفرق والتشخيص هو الصراط المستقيم المعرفي.

٤ ـ الاتقان في العمل

«ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه»[١] فعلى الصعيد الثقافي مثلا اذا اراد فرد او جماعة ان يؤلف كتابا فلابد ان تكون مضامينه وموضوعاته استدلالية مبرهنة وعصرية ودائمية فان افتقر إلى البرهان ال إلى البطلان والانهيار وان لم يكن نافعا زال في اقرب وقت. وهكذا في سائر المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية.

(١) نهج الفصاحة: ج٢ص٦٨٣.

فهرس المحتويات

القسم الثاني:
اساليب تبيين انتظار البشر من الدين

القسم الثالث
نماذج من تلبية الاسلام لتطلعات البشر